كتاب الهلال

سلسلة ثقافية شهرية

الجريمة والشباب

عبد المنعم الجداوي



كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : كمال النجمي

سكرتير التحرير : عايد عياد

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

KITAB ALHILAL

العدد ٣٩٥ ـ صفر ١٤٠٤ ـ نوفمبر ١٩٨٣

No. 395 November 1983

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ـ ١٢ عددا ـ فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى • وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان خمسة جنيهات مصرية او مايعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادى وعشرون دولارا بالبريد الجوى

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج• م• ع• بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة أعلاه عند الطلب •

كتاب الهلال

دار الهلال للجميع

الغلاف بريشـــــــــة
الفنانة ســـــميحة حسنين

عبد المنعم الجداوي

الجريمة والشباب

دار الهلال

مقدمة

... لا يملك العالم الا أن ينقسم على نفسه .. أمام موجات العنف التى تجتاح أطرافه ، وقلبه ، وكأنه تحول الى انسان فقد آدميته .. تحت تأثير مهيج شرس .. عطل فيه قدرة العقل على اعتقال كل نزعاته الشريرة .. فانهال على جسده طعنا ، ولطما ، وتقطيعا .. كلما سال الدم من اعضائه .. هلل فرحا .. وهو يخور ، وينزف ، ويسقط على الارض .. يهذى من الالم وهو يموت .. !

وتموت معه كل أعضائه الشريرة والطيبة .. ولعل الاهتمام الجاد من العلماء والمصلحين ، والفقهاء والشراح الذين يعكفون على العلوم الانسانية .. يمثلون فزع الاعضاء الطيبة فى مجتمعنا .. مما قد تفعله بهم الاعضاء الشريرة .. التى تحت عشرات الاسباب اندفعت تمارس العنف كآلات جهنمية .. لا مشاعر ، ولا أحاسيس ، ولا انسانية .. !

والعنف عند فريق من هؤلاء العلماء .. ليس غريزة كامنة فى النفس .. تفجرها الاسباب الخارجية .. دون السيطرة عليها .. ! وانما هو فى رأيهم ردا هستيريا على ضغوط صادرة من مجتمع أحبط آمال الشباب ، وبعثر

امانيهم ، وسحقهم بلا رحمة .. فانفجروا دفاعا عن كل ما يعتقدون ان المجتمع أفقدهم اياه .. وفى يأس يعمى ابصارهم عن النتائج .. فهم لا يهتمون بها .. بقدر ما توجههم وتسيطر عليهم غريزة الانتقام .. !!

متى يصبح القتل مفخرة ..؟

ويرى « كونراد لورنتس » وهو عالم نمساوى « ان العنف كامن فى البشر منذ أن كان الانسان فى الغابة .. وان الحماس للعنف يبلغ مداه فى أوقات الاستعداد للحروب ، وحينما تتأهب الجماعات لثورات دامية .. حيث تصبح المارشات العسكرية ، والاناشيد ، وسيلة لابتزاز الكامن فى الاعماق من شروره وتتحول الطبول العالية الى أيدى تهز غريزة القتال من مكامنها : وتنميها ، وتوقظها بحقنها بكافة مشاعر الاستفزاز .. فاذا ما سيطرت بوحشيتها على صاحبها .. أصبح القتل مفخرة ، والوحشية تضاف الى اسم الانسان ، فترفع من قيمته ، وتزيده زهوا ، وينادى بعضهم البعض الوحش فلان .. الضبع فلان .. !

عندئذ يصبح العنف ممثلا رسميا على المستوى الجماعى .. فاذا ما ارجعناه الى عوامله الاولية ... وجدناه نابعا من العنف الفردى . المتكون من الهمجية ، والشراسة الكامنة فى الافراد .. التى يسطع لهيبها حينما تسقط الكوابت عن الجميع ، ويصبح القضاء على الآخرين عملا مقدسا تهون فى سبيله كل القيم .. !

وتفقد المثل العليا الاخرى معانيها ، وترى العيون ،

وتحس القلوب انه فى وسع الانسان ان يكون نبيلا كريما ، وهو يرتكب أحط الاعمال وحشية وأشدها ضراوة ..!

التوازن والردع والعدوانية ..

اما « أريك فورم » المحلل النفسى الامريكى ، وصاحب اشهر المدارس فىدراسات السلوك الانسانى ، والظواهر الاجتماعية .. يرى ان العنف غير مطبوع فى قاع الانسان ، وانمـــــا هو تشويه فى الطبع والشخصية البشرية .. يكتسب اكتسابا دون تدخل الغرائز ، وهو يصر على أنه ظاهـــرة حضـــارية ، وليست طبيعية .. واثبت ذلك فى تجاربه التى قام بها .. حيث أكد ان وظائف الدماغ من شأنها أن تعمل كصمام أمان مهمته اقامة التوازن بين النزعات العدوانية والعوامل الرادعة لها ..والقضاء على ديناميكية العنف ، وعرقلة انطلاقه..وهو يرى ان العنف يتجمع ، ويحتشد ، ويتهيأ للتصدير الى الخارج .. كلما تعرض الانسان أو الحيوان لخطر داهم يهدد حياته .. او مصادرة هذه الحياة .. ! فاذا ما زال الخطر . تراجع العنف وتبخر .. وعليه فالعنف فى نظره لا يزيد عن اجراء وقائى .. يولد لدفع الخطر عن النفس التى يثيرها الذعر من الفناء .. !

ويرى « أريك فورم » أن المجتمعات البشرية ، هى المسئولة عن أفرادها الذين يولدون فيها ، ويعيشون على القيم الحضارية ، والمثل التى تعتنقها .. فاذا ماحدث انقلاب أو تغيير فى هذه القيم تطلب سلوكيات جديدة .. استعصى اخضاع المجتمع كله لهذا التغيير ، وظلت القيم

القديمة .. كأنها تشوهات خلقية ريشسب الصراع بين القديم القائم ، والجديد المطلوب .. ونستطيع أن نضيف ان كبار السن فى وسعهم أن يتقولبوا ، ويتكيفوا كما يطالبهم المجتمع الجديد .. نظرا لخبرتهم الطويلة ، وحنكتهم ، وحكمتهم فى تفادى الصدمات .. والدول النامية هى اكثر الدول عرضة لذلك .. الا أن الشباب ، وهم لم تدركهم حكمة الشيوخ بعد ــ فانهم ينساقون مع الغضب ، الذى لا يلبث ان يتحول الى عنف ــ ثم يذهبون وقودا لنيران أوقدها المجتمع .. !!

اهل الثقة او اهل الخبرة ..؟

ومجتمعنا فى الثلاثين سنة الاخيرة .. التى انضجت هـذا الجيل مادة الكتاب ، تعرض لاكثر من انقلاب سياسى ، وثقافى ، واجتماعى ، وبالتالى جاءت وجدانياته مشوهة .. مشوشة .. مفزعة الصورة كوجه حسناء شوهته مادة كاوية .. اتت على ملامحها فمسختها ، وابقت على العينين ذات النظرات النفاذة .. !

وانعكس كل هذا الصعود ، والهبوط ، والانتفاض ، والانكماش ، بعواصفه ، وزوابعه ، ومخاوفه على الذين عاشوها اطفالا كانوا أو بالغين .. فالابيض الناصع البياض اليوم .. يصبح غدا ، وبدون مقدمات أسود ، والذى لا يعترف . تفقأ عينه حتى لا يرى بالمرة ، وتفشى الكذب، والنفاق ، وحاول قادة الثقافة ، وأساتذة الجامعات ان يقفوا فى وجه القوة الغشوم المكتسحة ، فجرفهم تيار التطهير ، وخرست الالسنة ، وبرز شعار رهيب . جثم

كالسيف المسلط على الاعناق .. ينادى « أهل الثقــة اولا قبل أهل الخبرة » .. وفرض هذا الشعار نفسه على كل المرافق ، ومناحي الحياة .. ودفعت البلاد الثمن بعد ذلك ، ولم يخص العذاب أهل الثقة فقط ، ولا أهــل الخبرة فقط ، وانما سحق الجميع فى نكسة ١٩٦٧ .. بعد عشرات الانذارات التى لم تفلح فى بعث الامة التى تمزقت شيعا .. بعضها يسكت خوفا ، وبعضها يتربص طمعا ، وفريق ثالث اعتنق اللامبالاة .. وهو فى حالة رفض للفريقين .. !

واحترفنا جميعــا وبلا استثناء صناعة النكت ، والفكاهات .. وراجت قصـــة « مدرسة القرود ، والقرداتى » الذى يذبح « الجدى » ليتعلم بقية القرود الرقص دون معارضة .. وبعدها أسطورة السلطان الذى يقع ضحية نصاب يستولى على ذهبه مقابل عباءة وهمية يصنعها له من الحرير .. لكنها تحتوى على سر يجعل أبناء الحلال فقط هم الذين يرونها أما أبناء الحرام فلا يرونها .. ويجىء النصاب بصندوق فارغ ويبدأ يحبك كذبته .. فيتصور أنه يمسك بعباءة وهمية يضعها على كتفى السلطان ، ويدور حوله من الامام ومن الخلف .. يضبط اطرافها على السلطان ، ويفاجأ السلطان بأنه أول أبناء الحرام .. فيحاول أن يتظاهر بأنه يراها ، ويلمسها، وتتبعه كل الحاشية ، وهكذا يتقاضى النصاب باقى الثمن ولا يجرؤ واحد على أن يقول الحقيقة .. حتى لا يتهم بأنه ابن حرام .. ! والاسطورة لها مغزاها العميق المحزن ..! وهو أن السلطة لا تعطى آذانها الا للنصابين ، ولا تجمع حولها الا كل منافق كذاب .. لا يرى الا بعينى السلطة ، ولا يسمع الا بآذانها .. !

وقد يكون للسلطة الحق فى الشعار الذى رفعته ، وقد يكون البعض على حق فيما رآه . فليس هذا مجال الفحص ، والتمحيص ، ولكننا نبحث خلال ذلك كله عن الشباب .. الذى راح يطحن بين نظام يناديه ، ويصور له قيادات يفرضها عليه ، ويطلب منه الطاعة لها .. ثم بين يوم وليلة يجد هذه القيادات مخلوعة ، وملطخة بالطين ، ومطلوب منه أن يلعنها ..!

وآباء لاذوا بالصمت ، واذا تكلموا همسوا بالنكت التى تساعدهم على مضغ آلامهم ، ولا شىء غير ذلك .. وتتسع الفجوة بين هؤلاء وهؤلاء ، ويدير كل منهم احاسيسه للآخر .. واصبح الابناء أيتاما لآباء أحياء .. وانعدمت اللغة بينهم ، لم يعد يجمعهم لا هدف مشترك ، ولا وحدة فى الفكر ..! وسقطت الابوة .. تحت عشرات العوامل ، وعاش الجيل يتيما .. !!

انتصار الفقراء !

وحمل التعليم المجانى آلاف الظمأى الى الجامعات ، واقتحمت طلائع المحرومين الكليات التى كانت قاصرة على أبناء الاغنياء . فقد كانت شروطها القديمة تنص صراحة على أن يكون ولى أمر الطالب لا يقل ما يملكه عن كذا .. وذلك لان هذه الكليات تعطى لخريجيها سلطات واسعة، ورزقا فى أضيق الحدود .. ولكن الفقراء فى انتصارهم لم يفطنوا الى هذه المصيدة .. وفوجىء الابناء بأنهم طلبة فى الجامعات .. والتقوا هناك بما صدم احاسيسهم

ومشاعرهم .. فقد التقوا مع بقايا الاغنياء وجهـــا لوجه ؛ واصطدموا بكل ما جعلهم يشعرون بالضياع ، وثاروا على حياة أهلهم التى أصبحت أضيق بكثير من أحلامهم . ورأوا طلبة مثلهم يركبون السيارات الفارهة.. وهم لا يجــدون ثمن تذكرة الترام .. وصبر منهم من تماسك وانهار منهم من انهـــار .. والذى تخرج منهم أحس أنه سقط فى ورطة .. فالوظيفة تتطلب مظهرا يليق بسلطاتها الواسعة ، ومرتبه لا يكفيه ، وأهله الفقراء يتطلعون اليه ، وهو يتطلع الى العيش كما يعيش بقية زملائه .. فلا أقل من سيارة يملكها .. والوظيفة تحف بها الاغراءات الشديدة التى لا تقاوم ، وأصحاب الحاجات يملكون ، ويعرضون ، ويلحون .. وكانت النتيجة محزنة .. فقد نشرت الصحف ان شـــبانا يشغلون مناصب حساسة فى القضاء أو الشرطة .. ضبطوا وهم يتقاضون رشوة أو شاركوا فى اختلاس ، ولو اننا راجعنا الصحف منذ بداية هذا القرن .. حتى الخمسينات فلن نجد مثل هذه الاحداث الفردية .. !

انقلاب الهرم .. !

حقيقة ان هذا لايدين الجيل كله ، ولا ينسحب على المحرومين الذين اقتحموا الجامعات جميعا .. ولكن يشير الى حقيقة أو ظاهرة ، تكونت نتيجة لظروف التغيير الذى لم تكن هناك فرصة لدراسة جوانبه ، وهى كالسموم التى لابد من تخلفها فى الجسم بعد العلاج بدواء شديد الاثر لابد منه .. وضاعف من الازمة ، وأحكمها حول الجيل

الذى تعلم .. ان السوق خلت من الحرفيين .. الذين كانوا فى الاعم ، والاغلب من أبناء الطبقة المتوسطة .. بعد ذهابهم الى الجامعات .. فارتفعت أجورهم ، وانقلب الهرم . فأصبح أصغر عامل يتقاضى فى يوم أو يومين ما يتقاضاه هذا الجامعى فى شهر .. وفى صورة كاريكاتير لخص أحد الرسامين الموقف .. فقد رسم ربة بيت هى مصر ، وأولادها أمامها فى كامل ملابسهم ، وهى تقول لهم وتشير الى حنفية تدفع منها المياه .. « كلكم مهندسين ، ومن يصلح لى الحنفية ؟ » وتمنى اى طبيب من الخريجين أو المهندسين أو المحامين أن يكون له دخل « السباكين » لكن هيهات .. فقد فات الوقت .. !!

انتقلت النقود الى أيدى الفئة ـ محدودة المطالب ـ ضيقة الآمال ، فانطلقت تنفق انفاقا يثير اعصاب المحرومين ذوى الآمال والاحلام الواسعة .. ويدفع بهم الى الاستهانة بالعلم والشهادات ، ويجعلهم يعايشون النـــدم ، على ما أصابهم ، وهممت الجريمة داخل الذين فى أيديهم النقود ، بغية الاستزادة .. ولا وازع من خبرة أو علم .. وتحفزت أيضا داخل الذين خلت أيديهم من النقود .. تحتمى تحت ستار العلم والمنصب .. مدفوعة بالحاجة الحادة ، والعوز الشرس ..!

سقوط الابوة .. !!

واستقبلت السجون انماطا جـديدة من المذنبين ـ جديدة فى كل شىء حتى الاسماء .. لم يعد المذنب .. اسمه « خليفة » أو « خلف » أو « عوكل » .. وانما

أسمه « شريف » ، و « مجدى » ، و « رأفت » وأسماء اخرى غاية فى الرقة .. !!

استطاعت الجريمة رغم أنف الجميع أن تطول بعض أبناء الجيل .. اجتمعت ضدهم كل العوامل ، وتحكمت فيهم ظروفهم ، وقد سقطت الابوة صريعة ، فى بئر المشغوليات أو السفر الطويل أو الخلاف بين الوالدين ، وأصبح الشبان بلا غطاء أبوى .. فقدوا الحنان ، والرعاية ، والعناية .. فاندفعوا الى الجريمة دون أن يجدوا من يحول بينهم وبينها سوى القانون ، وهو شراك ، لا يرد من يسير نحوها .. لكنه يقبض على من يسقط فيها .. !!

وهكذا قدر لنا فى الربع الاخير من القرن العشرين .. ان تشهد الجريمة المرتكبة بأيدى جامعية .. ! وهنا مكمن الخطر الذى يضاعف الآثار .. فالنفوس التى عجز تعليمها الجامعي عن حمايتها من اغراء الجريمة .. من الصعب والشاق أن تثمر معها العقوبة .. !

وقد شهدنا « المحاسب » الذى يسقط فى جرائم تزييف النقود ، والاختام ، والمستندات ، والشهادات الرسمية ، والمحامى الذى يؤلف مع مدرس لغة انجليزية عصابة تزييف النقود ، وقاض يتسلم رشوة ، وضابط شرطة يهاجم المساكن ليلا ومهندس يبيع ما لديه من عهدة ، وآخر يتقاضى الاتاوات من المواطنين ، وطبيب يتاجر فى المخدرات ، ويبيع الادوية المسكنة لآلام مرضى السرطان ، ويشرك معه زوجته الطبيبة أيضا .. !

واننى اذ أسجل فى هذا الكتاب بعض الجرائم التى تعطى دلالات معينة . فلست أدين هؤلاء الضحايا الذين

استولت عليهم الجريمة وحدهم .. وانما أدين معهم كل الذين كانوا لهم فى مقـــام الآباء أو الاساتذة .. ادين الذين كان فى وسعهم أن يكونوا لهم المثـل ، والقدوة .. الا انهم كانوا المثل السيىء ، والقدوة الرديئة .. أدينهم لانهم على الاقل لم يفلحوا فى تربيتهم .. التربية التى تحميهم من اغراء الجريمة .. ! وماذا نرجو من جيل لم يفقد القدوة فقط ، وانما فجع فى مثله ، وقيمه ، وضاعت منه القدوة والاسوة .. ؟!

واننى أرفض بشدة .. دفاع الآباء .. أن الأبناء لا يستمعون الى النصيحة ، ولا ينصاعون لها .. لانهـم يرفضون النصيحة بالاستقامة .. من أب يعقد صفقات الرشوة فى بيته .. !! انهم يريدون القدوة أولا .. ! وثانيا وثالثا .. !!

القاهرة يناير ١٩٨٣ - عبد المنعم الجداوى

هذا القاتل كان يريد أن يكون نفسه !

لو أن والدى استمع الى .. وتقبل وجهة نظرى لما تزوجت بابنة عمى .. ولو أنى لم أتزوجها لما ذهبت الى « الفيوم » فى العيد الماضى .. ولو انى لم اذهب اليهم لما شعرت بهم يجثمون فوق صدرى ، وينتشرون فى دمائى كالسرطان .. ولو أن أمها لم تكن زوجة عمى وهى ابنة عمى .. لتخلصت منها بالطلاق .. ولو كنت تخلصت منها بالطلاق ما وقع هذا وما أصبحت قاتلا ، واصبحت هى قتيلة .. !

كل شىء فى حياتى يسير وفق رغبات الآخرين .. لا شىء حتى الآن وقع فى حياتى بارادتى .. بعد أيام ابلغ الثلاثين .. طوال هذه السنوات ، وأنا أعيش ضد ارادتى .. حينما حصلت على الاعدادية .. كنت أتمنى ان أمضى فى التعليم حتى آخر مراحله .. لكن الامكانيات الاقتصادية وقفت دون ذلك .. واسرع والدى يقدم اوراقى الى مكتب مركز تدريب المصانع .. وكنت رافضا لهذا الطريق فلم أهتم الا بالبحث عن طريق مواصلة التعليم ، وكانت النتيجة أنه لا رغبة أبى تحققت ولا رغبتى تحققت وبقيت فى البيت .

أحس والدى أننى غضـــيته .. فتجنبنى .. !
وأحسست أنه يقف ضـــد رغبتى فكرهت أن أراه ..
وانتابتنى موجة من الكآبة .. قبعت معها فى عقر الدار..
لا انيس لى سوى الكتب والروايات ، والشعر ، وكانت
من أحسن الايام التى قضيتها مع نفسى .. احلم بأننى
سأكون أديبا كبيرا .. أو شاعرا أو كاتبا ... تتهافت
الصحف والمجلات على نشر ما اكتب ..! احلام مراهق
تزخرفها دفقات الشباب فى عروقه ، وتزينها خيالات
الارادة الرخوة فى أعماقه .. لكن كل ذلك تبخر ..
حينما حل العام الجديد ، ودفع ابى بأوراقى كلها الى
مركز تدريب المصانع فى « وادى حوف » ولم أجد مناصا
من الانصياع .. كتمت رغبتى .. مشيت على ارادتى ..

وتوالت الايام .. وأبديت ميـلا متميزا نحـو مادة
الرسم الصناعى .. فقد كان يتفق وما يحتشـــد فى
صدرى من أحلام .. ولكنى كنت أعيش فى النهاية ضد
نفسى .. كل ما يحيط بى يحول دون أن أكون « أحمد »
نفسه .. !

انتهت أيام مركز التدريب ، والتحقت بالمصانع كعامل،
وأصبحت صاحب مرتب .. وبدأت أمارس هـواياتى
بشكل أوسع .. الرسم تمكن منى بنفس القـدر الذى
أمارس به الموسيقى .. وكتابة الشـعر ، وهكذا ملأت
أوقات فراغى بأنشطة مختلفة .. وأصبحت معروفا فى
طول المعـــادى وعرضها .. كل رفاقى الشباب ..
يعرفوننى على اننى مجموعة من المواهب .. لا يتم فرح
الا ويدعوننى اليه .. اعياد الميلاد .. الزواج .. افراح
المناسبات .. « أحمد » نجم كل هذه الحفلات .. اقول

المنولوجات .. أغنى .. أعزف موسيقى .. أملأ الليلة تهريجا ، وفرحا .

وكان بعضهم يحسدوننى على حب كل الناس لى .. لا أحد يشيح عنى بوجهه .. ولست أدرى لماذا بدأت امى تفكر فى زواجى .. كانت المأساة هى أننا « صعايدة » والزواج المبكر أحد اركان حياتنا .. والركن الثانى هو أن تكون الزوجة من الاقارب .. وبالضرورة التى لا مفر منها أن تكون الزوجة هى ابنة العم .. الا اذا كانت غير موجودة .. ولكن ابنة عمى هذه تعيش فى « الفيوم » .. ولم يحدث أن رايتها الا منذ سنوات بعيدة .. منذ كنت فى الاعدادية .. وبعدها أذكر أننى ذهبت مع رحلة .. وأنا أعمل بالمصانع الى « الفيوم » . وهناك رأيتها ، رأيت عمى وزوجته وأولاده .. ولم يكن فيها ما أعتقد أنه يمكن أن يكون أساسا للزواج .. !

وقلت لأمى وأبى انه اذا كان لابد من الزواج . فلماذا ابنة عمى .. ؟ أذهلهما ردى .. ! أقاما الدنيا ، وأرعدا ، وابرقا .. وقررا أنه اذا لم يكن الزواج من ابنة عمى فلا زواج .. واذا حدث .. فلا أنا ابنهما ، ولا هما والداى .. وتهديد ، وانذار ، ولوم من كل من يعرفنى ومن لا يعرفنى .. ! وارغام فى النهاية يجىء بنفس الطريقة الاولى .. لابد من الانصياع — لابد من الغاء «أحمد» نهائيا .. والداك عليهما أن يرسما خط حياتك فى العمل، وفى الزواج .. ووافقت ، وأقصيت « أنا » عن نفسى ، وذهبت معهما لخطبة ابنة عمى .. !

وتمت الخطبة ، وبدأنا نستعد لارساء قواعد بيت ..

يجب أن يقوم ويستمر .. وتكرر ذهابي ، وعودتي وحدى .. أواجه هناك حماتي وعمي ، دون والدى أو والدتي.. والمواجهة ليست سهلة في مثل هذه الامور .. أشعر وأنا بينهم .. انهم كثيرون ، وأنني وحدى .. يملون على ما يريدون ، وليس لى أن أقول . لا . نريد شقة بعيدة عن أمك وأخوتك .. « حاضر » .. نريد شبكة كذا وكذا .. حاضر .. ثم أعود .. فأجد نفسى منفذا لكل ما ارادوا! .. وحاولت أمى ، وحاول أبى أن يعـــرقلا حصولى على شقة لاعيش معهما كما رسما من قبل ، فالبنت ابنتهما والابن ابنهما ـ لكن ذلك لم يحدث .. ودفعت فى الشقة ما استطعته ، وما اقترضته ... وكان الزواج الذى دفعــانى اليه .. سببا فى اننى انفصلت عنهما ، وعشت فى بيت على مقــربة منهما .. ولكنى لم أفصل نفسى عنهما نفسيا .. فقد ظللت دائب الاتصـال بهما ليلا أو نهارا .. لكن العجيب فى الامر .. ان ابنة عمى سابقا .. وزوجتى حاليا .. أخذت من أهلى موقفا ، ورفضت ان تتردد عليهم .. « غمزة » من أمها لتجعلهم لا يترددون ، وفعلا وقع هذا .. !!

ودارت الشهور . ووضعت بنتا .. وبدأت أشعر مع الابوة القادمة بالمسئولية الحقيقية .. التى شغلتنى عن كل الهوايات ، ولم يبق لى سوى الهوايات التى يمكن أن تعود على ببعض الدخل .. كعمل البراويز ، واللوحات سواء كانت آيات قرآنية أو صـــورا طبيعية ... وبعض المنولوجات القيها فى الافراح مع فرق الهواة ، وكان ذلك يعود على بمصروفاتى الخاصة .. اما المرتب فاستبقيه للبيت .. الى أن كان العيد الكبير الماضى .. ذهبنا بناء على دعوة ملحة من حماى وحماتى .. !

مرة أخرى يزداد شعورى بالوحـدة وبأنهم كثيرون ضدى .. كانوا يشوون اللحم ، واقتطع حماى من الكبدة قطعة وأعطاها لى .. مضغها هو وأكلها .. أنا لم أستطع ابتلاعها .. بصقتها بعد أن مضغتها وملأ نفسي بالتقزز .. فقد اعتاد هو على أكلهـا نيئة أما أنا فقد عجزت .. تبادلنا النظرات .. رمقنى وأنا أبصقها رمانى باحتقار ، وازدراء شعرت به .. كأنه يقول هذا هو الفـرق بينى وبينك .. الصعيدى يجب أن يكون قادرا على أكل الكبدة نيئة .. !!

حتى حماى هو الآخر يريد أن يصنعنى كما يريد .. الا يكفى أبى وأمى .. هذا يريد منى أن يجعلنى حيوانا مفترسا يأكل اللحم النيىء .. رثيت لحالى ... ادركت أننى تهاونت ، وفرطت فى نفسى ، وقبلت أن أكون غير ما أريد .. فعدا على الجميع .. لو أنى رفضت عرض أبى وأمى .. ماصرت زوجا لابنة هـذا العم الغـريب الاطوار .. !!

ولكن هذا الكلام مضى أوانه .. كل ماعبرت به عن نفسى .. هو أننى كرهت اللحم كله .. ولم أقربه طوال وجودى عندهم ..

وعرض على عمى أن أشترى « تليفزيون » قديمـا عند ابنه .. بخمسين جنيها ، ولكن بعد أن انفردت بابن العم .. قال لى أنه لا يصلح لى وما كدت أعود الى « المعادى » حتى وجدت نفسى أشترى « تليفزيون » ، واوقع على عدد كبير من الكمبيالات بلا مبالاة ..!

ومنذ خمسة عشر يوما فوجئت بعمى وزوجته يزوراننى

.. حضرا من « الفيوم » .. لم أكن أستيقظت من النوم .. اندفعا بعد دخولهما الى المطبخ .. كانا يحملان لحوما، وفراخا ، وأشياء أخرى ..

ذهبت الى العمل .. عدت منه بعد قليل .. كانت زوجتى مشغولة مع والدتها فى المطبخ .. جلست أمارس هواية عمل « البراويز » أرادت زوجتى أن تعطينى البنت ريثما تنتهى من العمل .. قلت لها اننى لا أتقن الجلوس بالاطفال .. تدخلت والدتها ، وقالت ان ابنها يحمل ابنته عن زوجته دائما .. وجعل ذلك زوجتى تتشبث بطلبها .. لكنى رفضت .. فافتعلت الغضب ، ومضيت فى هوايتى .. لكنى لم ألبث أن تركت المنزل ، وهبطت الى بيت أبى .. لعلى ذهبت أشـــــكو ، ولكنى متى كنت أشكو .. ؟

أو ذهبت أعتب .. لكن لم يحدث .. كانت شقيقتى الكبرى هناك منذ شهرين .. وقالت لى أنهـا سـوف تسافر غــــدا ، ولم تكن دخلت بيتى . فقلت لها أننى أدعوها على العشاء مع أمى ، وأبى واخوتى .. وعدت فأعلنت زوجتى بأننى دعوت أهلى على العشاء .. !

وبعد أن تنـاول عمى الغـداء .. قال لى انه ينوى السفر .. ولكن لابد له من قضاء بعض المصالح ، وعلى أن أرافقه حتى ينتهى منها ، ويسافر .. وهبطت معه ، واكتشفت ان الساعة أصبحت الثامنة مساء .. وهرولت الى « المعادى » لكن لم أصل قبل العاشرة ، وأحسست بالخجل وأنا أدخل بيتى ..

ماذا حدث لى .. ؟ وكيف أصبحت عبدا لزوجتى ، وأهلها الى هذا الحد .. ؟ لابد من « فرملة » .. !

هالنى أن يقع منى ذلك فى حق أختى الكبيرة .. التى تضع نفسها وزوجها فى خدمتى كلما زرت بلدنا «الاقصر» .. كان يجب الا أفقد نخوتى وشهامتى أمامها ، ومن اجل من .. ؟ من أجل حماى .. !!

كل ذلك مع تطاول زوجتى على ، وجراتها الغريبة التى اكتسبتها من تحريض والدتها .. وأصبحت تسخر من هواياتى ، وتسخف عملى بهـــا ، وغرامى بالرسم ، ومحاولة تحطيم كل رغبة لى تغنينى عن الحديث معها.. حتى القراءة .. أصبحت ترى فيها عدوا لدودا لهـا لا أكاد أمسك بكتاب حتى تقول لى أننى أغيظها بالقراءة لانها جاهلة .. !

وسافرت والدتهـــا .. ولكنها بقيت بتعليماتهـــا وحماقاتها ، وسخافاتها ممثلة فى ابنتها .. الى أن كان ذلك الصباح المشئوم .. !

استيقظنا من النوم .. لم أكن مستغرقا فى النوم .. منذ زيارة والدها .. لم أنم ليلة دون كوابيس وأحلام مزعجة .. قليلا ما كنت أنام .. فى هذه الليلة بالذات .. كان نومى متقطعا .. تتخلله كوابيس غريبة ..

ذهبت الى دورة المياه .. عدت أرتدى ملابسى .. بكت البنت .. أعطتها البزازة فى لامبالاة .. طلبت منها ان تعد لى الشاى .. غابت فى المطبخ ذهبت اليها .. كانت تدور فيه بلا هدف .. سألتها لماذا لم تصنع الشاى .. ؟ أجابت أن علبة الشاى فارغة .. ! ثم فى برود غريب قالت لى : أنا عثرت على بقايا « سحلب » .. فهل تصنعه لى .. ؟

عندئذ انفجرت فيها .. أعلنتها برأيى فيها كزوجة ، وفى

امها كحماة ، وفى والدها .. وفوجئت بهــــا ترد لى الصاع صاعين . أمسكت سكين المطبخ وهجمت عليهــا اخرسها عن الكلام الذى تقذفه من فمهــا .. وهــويت بها .. انبثقت دماء غزيرة .. لكنها كانت تجرى أمامى .. ولم أدر ماذا يصدر منى .. تعثرت وقعت .. فوقعت فوقها .. على صراخ الطفلة .. حدثت ضجة تهاوى كل شىء على كل شىء .. وجدت نفسى ممرغا فى الارض .. صبغت الدماء كل شىء فيها وفى .. بكاء الطفلة يزداد .. القتيلة ترسل شخيرا .. تتخبط .. وضعت «البزازة» فى فم الطفلة ، وهبطت من البيت .. ظللت اجرى .. اجرى .. لم يصادفنى أحد أعرفه .. وقد يكون صادفنى .. لكننى لم أتنبه الى أحد الى أن دخلت قسم المعادى .. قلت للمأمور محمد الجمال أنا قاتل .. وسلمنى الى المقدم اسماعيل الشاعر ، وجاء العقيد نبيل العزبى مفتش مباحث المنطقة فذهبنا جميعا الى الشقة كأنهم غير مصدقين .. العميد عباس العاصى مدير مباحث القاهرة . والعقيد عبد الهادى مخيمر رئيس المباحث بعد أن استمعا الى قصتى .. قالا : أنت قاتل بلا أسباب .. فما كان جوابى الا أن سكت .. اكل هذه الاسباب لا تكفى .. ؟

قولوا انني رجل كان يريد أن يكون نفسه ففشل .. !

نهاية البحث عن إمرأة بيضاء

« خليل » انزلق شــــيئا فشيئا فى لجة اليأس ، والحيرة ، والهوان .. طوفان من الهموم ليس مبعثها الاغتراب فقط ، ولا الضياع فى عقر داره ؛ وانما همومه الحقيقية مبعثها أحلام و « أحلام » زوجته ، وأم ابنته التى تبلغ الخامسة ، والطفل الذى وفد حديثا منـذ سبعة أشهر .. !

وقد يئس من حل مشكلته معها .. لم يقف على حافة اليأس ، وانما خاضه ، وانغرس فى وحله ، وفشل فى كل الحلول التى اقترحها عليها .. فهى لا تستمع اليه ، ولا تعيره اهتماما .. خلعته من نفسها نهائيا ، وألقت به خارج حياتها .. وأصبح مغلوبا على أمره .. ليس لديه ما يواجه به هذا الاحساس بالعجز ، والغوص فى بركة اليأس .. !

***

أيكون ذلك هو العقاب الذى يستحقه لخروجه على تقاليد أهله .. ؟ أيكون ذلك تكفيرا عن الذنب الذى يرى كل فرد فى عشيرته أنه أقدم عليه .. ؟ بعد أن ضرب بكل نصـــائحهم عرض الحائط .. ؟ وهل فى محاولته

التحرر من قيود القبيلة ، وزواجه بمن خفق قلبه لها ذنب يستوجب العقاب من الله والناس .. ؟

« خليل » فى أعماقه ترقد تقاليد عمرها مئات السنين .. انحدر من أسرة « نوبية » مصرية .. جاءت الى « الاقصر » مع تعلبة خزان أسوان الاولى .. وعاشت فى الوطن الجديد .. وانفرست فى الارض ، واستطاعت ان تواصل حياتها .. حريصة على تقاليدها .. تصنع حولها من الاقارب ، والاهالى مجتمعا شبه مغلق ، خاصا بها .. !

ولد عام ١٩٣٧ ، وجاء الى القاهرة عام ١٩٥٢ .. فى الخامسة عشرة من عمره .. لجأ الى أحد اقاربه ، وفى أيام وجد عملا ركن اليه ، وبدأ يعد لحياة طويلة فى القاهرة بين أبناء عشيرته .. !

بدأ بعد سنوات يشعر أنه أصبح رجلا .. وانه فى حاجة الى زوجة .. لكن اى زوجة ؟ منذ الوهلة الاولى لم يفكر فى زوجة من لون جلدته .. لابد أن يتزوج بزوجة بيضاء .. حلم حياته منذ أن كان طفلا .. السمراوات كثيرات .. كل ما يحيط به لونه أسمر .. لابد ان يخترق الحصار السمراوى ، ويتزوج من بيضاء .. حسناء فارعة الطول .. قوية البنية .. حتى يشعر انه تزوج زواجا حقيقيا .. يعاشر فيه امراة .. السمراوات لا يشعر نحوهن ابدا بشىء .. كلهن يثرن فيه الشعور بأنه يجلس الى صديق من لونه .. لا أكثر ولا أقل .. ولكن أين هى البيضاء التى يرضى عنها أبناء عمومته ، واقاربه ؟ كلهم يرفضون مجرد اقتراحه ، ويهبون فيه ينصحونه بأن يكف عن ترديد هذه الاغنية ..

البيضاء « يا خليل » ليس لها الا أبيض .. «البيضاء» ان اعطت أخذت — واذا أخذت سحقت .. وأنت طيب لا قبل لك بامرأة بيضاء .. أخنق بيديك الشيطان فى صدرك ، وتعال الى ابنة عمك « صالح » سمراء من لونك .. ترى فيك أباها وأخاها .. وتحفظك اذا غبت عنها .. وتفرح اذا عدت اليها .. لا ترى فى الدنيا من هو مثلك أو أحسن منك .. تحبك اذا أكرمتها ، وتغفر لك اذا أهنتها .. ترى فيك القائد ، وعليها أن تتبعك وتسير خلفك .. !

البيضاء سوف ترى أنها متفضلة عليك .. دائما هى المتمنة .. تذكرك بفضلها عليك كل لحظة .. تريد منك ان تنسى الله وتذكرها .. عليك أن تنفذ ماتريده لك .. هى صاحبة الكلمة الاولى .. هى معك ما استطعت ان تغرقها اغداقا وانفاقا .. فاذا تراجعت ماليا أو صحيا أو أدبيا .. طردتك من حياتها .. وقد تطردك لا لسبب الا أنها ملت عيشتك ، وكرهت النظر الى خلقتك !

انهالوا عليه جميعا يعزفون على سمعه كل يوم هذه القصيدة .. حتى لا يزوغ منهم ، ويتزوج بيضاء .. لكنه لم يكن يستمع اليهم .. فهو يرى أنهم جميعا يتكلمون من منطلق عجزهم ، وحقدهم عليه اذا تزوج بيضاء .. ليحقق بذلك الحلم الذى فشلوا هم فى تحقيقه .. !

كان يعمل عند أحد الاطباء فى مستشفى خاص .. حينما جاءت أسرة من الفلاحين لكى تجرى للأم عملية جراحية .. الاسرة كانت مكونة من أب وفتاتين ، وولدين ، احدى الفتاتين مخطوبة ، والثانية بكر .. كأن القدر كان يدخرها له .. كما تخيلها ، وطالما حلم بها ..

القوام الفاره .. والجسد الممتلىء المشدود .. الفتنة في ملامحها .. أنثى تستفز بأنوثتها كل رجولة حتى لو كانت حالة ضعف .. وبذل الاخلاص المخزون في صدره للأسرة .. وراح يعتني بالأم ، ويهمس في أذن الاب ، ويصب على الفتاة نظراته .. يستنهض بعض ما في قلبها لعلها ترنو اليه .. عساها تقرأ مرة عبارة واحدة من المكنون فى قلبه ، والمسطور في عينيه .. أخيرا تفضلت ونزلت من عليائها .. فانتبهت اليه .. لفت نظرها الهمسات التى تدور كثيرا بينه وبين والدها .. !

شفيت الام ، وعادت الى قريتها فى « منيل شيحة »، وقالت « لخليل » نحن فى انتظارك .. ذهب « خليل » لم يأخذ معه أحدا من أهله .. أنه يعرف أن ذلك ضد رغبتهم .. ذهب بنفسه الى هناك .. استقبل من الاسرة ، ومن الفتاة استقبالا أرضاه .. وكانت معه « دبلة الخطبة » ، و « الشبكة » واستمع الى زغرودة من شقيقتها ، وأمسك بيد خطيبته « أحلام » يدفع بالخاتم فى اصبعها ولم يستطع أن يمنع نفسه من تقبيل .. تلك اليد البضة الفضة البيضاء التى تجرى الحمرة في انحائها .. كأنها قشدة بيضاء غطيت بالعسل الابيض .. ورفع فاه عن اليد ، ونظر فى عينيها .. وذابت كل عظامه التى ترتبط ببعضها .. أن فى كل عين من عينيها أنثى تناديه .. بيضاء كسحابة .. حمراء كالشفق .. يوشك أن يرى الماء فى حلقها حين تشرب ..

« خليل » جاءتك الدنيا .. راكعة بين اياديك .. ها هى ذى امرأة بيضاء .. تضىء بالحسن لياليك .. حققت كل أمانيك ... كتبت اسمك بالجهد .. بالصبر .. بالحب .. فى قلب امرأة بيضاء لن يشمت فيك

اقاربك .. ! واحس انه يرقص وهو يجلس .. وقال لعروسه .. انا فرحان .. ! فهمست اليه « وانا فرحانة » .. !

واقبلت عاصفة من الخارج .. ! وصل الى اذنيه صراخ ، وصوت مرتفع ، وسباب وشتائم .. دخل شقيقها الاكبر .. كان قد رآه فى المستشفى .. يحمل عصاه ، وانهال على كل شيء تحطيما .. هدد وتوعد ، وصمم على أن يطفيء الشموع ... فهو لا يوافق على هذه الزيجة لان العريس ليس من الاهل ولا من الاقارب ، ولا يعرف له رجال والفتاة قد خطبها منه احد أصدقائه .. وما لم يفسد كل شيء .. فانه سوف يقتل الفتاة ؛ ويقتل نفسه ، ويحيل الليلة الى ماساة ..

وتدخل الاب ، وتدخلت الام ، وأمام كل ذلك ... انكمش « خليل » تضاءل .. تراجع .. خلع الاخ فى ثورته « الشبكة والدبلة » ، والقاهما فى وجه « خليل » ، وهربت الفتاة تختفى قبل أن يقتلها شقيقها فى ثورته .. وانسحب « خليل » .. وجراحه أضعاف فرحته .. كان على أبواب الجنة لكنه طرد منها .. مزقته ذئاب اليأس .. تنهشه من رأسه حتى قدميه .. الالم المر المتمركز .. يملؤه حتى أذنيه .. قد ضاعت منه البيضاء .. قد ضاعت منه الى الابد .. وانهمك يداوى جراحه بالعمل .. كان من الصعب أن يواجه الذين يعرفون قصته فى العمل .. فبحث عن عمل آخر ، وانتقل الى مستشفى « الجمهورية » فى عابدين .. اختبأ هناك مع أحزانه .. لا عدو يشمت ، ولا صديق يشفق ..!

ورفض أن يتسقط الاخبار .. بعد أن عرف انها

تزوجت صديق شقيقها فى نفس الشهر وزفت اليه .. ولم يحاول ان يسعى للعثور على امرأة بيضاء اخرى .. احس انها تجربته الاولى والاخيـــرة .. لقد أحرقت الصدمة أرض أمانيه .. وهيهات أن تنبت على أرض يأسه أحلام جديدة .. !!

وتوالت الايام .. وجاءه من يهمس اليـــه ... ان « أحلام » طلقت .. وان عليه أن يذهب الى الاب ليعزيه فقد ماتت البنت الاخرى منتحرة .. بعد أن تزوجت .. أن الواجب يحتم عليه أن يذهب .. فالرجل الاب لم يفعل معه الا كل خير .. وتحت أكثر من عامل ، وأكثر من دافع ذهب « خليل » ليقدم للأب تعزيته ..!

وهناك وقعت عينه على « أحـــلام » ، واستيقظت الجروح التى كانت نائمة .. بدت فى الملابس السوداء اشد بياضا ، وأكثر تألقا .. فاقتربت منه تهمس فى أذنه .. « خليل » « أنا فى حاجة اليك » .. واهتزت أرض اليأس المحترقة .. واخضرت روابيها .. تنبت آمـــالا جديدة تقاوم جدب اليأس فى اصرار ، وتنمو متوكئة على ما كان .. ووجد « خليل » نفسه يهتف « وأنا فى حاجة اليك » .. !!

عاد والامل يتوثب داخله .. بعد ان كان قد فقده ، وراح يتعذب بالتعلق به من جديد .. كان قد ركن الى راحة اليأس .. وفى قمة صراعه مع نفسه.. فوجىء بها تزوره فى المستشفى الذى يعمل به .. مرحى يا «أحلام» .. هاهو قلبى ينفتـــح لك .. فليس فيـــه الاك .. قالت له أقدم ، وقابل أبى مرة أخرى .. فكل الظروف تغيرت .. لقد مهدت لكل شىء ..

وبر بموعده فذهب ، وليس معه ألا آماله ألتى تعاظمت .. ووجد كل شيء ممهدا .. كما قالت « أحلام » .. ارسل الاب فى طلب المأذون ، وكتب العقد .. وأراد ان يغادر البيت ريثما يجهز فأقسم الاب عليه أن يصعد ليعرس بعروسه .. فهم لديهم كل شيء .. الغرفة جاهزة ، والاثاث جاهز .. وهو قد أسرهم بجميله ، وأعطاهم خمسمائة جنيه كانت معه كمهر ، وأصبحت « احلام » زوجته .. !!

وهبط فى اليوم الثانى لكى يحصل على اجازة من عمله ، وفوجيء بأن الدنيا غير التى رآها بالامس .. كانت رياح الخماسين تتراجع امام الربيع القادم .. والسحب فى السماء تتلاقى ، وتتزاوج ، وتتهادى ؛ وتلتقى لترسل بين الحين والحين رذاذا رائعا .. ينعش الافئدة التى ظلت خاملة كامنة طول الشتاء .. وأحس انه أصبح خفيفا يكاد يطير من فوق الارض .. تبددت الهموم التى كانت تثقل خطواته .. يريد أن ينهى كل ما خرج من أجله .. ثم يعود سريعا .. حيث تنتظره « أحلام » المرأة البيضاء .. أخيرا حقق الحلم الذى كان يراوده .

وبعد شهور ظهرت علامات الحمل ، نعمة جديدة يجب أن يشكر الله عليها .. أين هؤلاء الذين كانوا يحذرونه من البشرة البيضاء .. ؟ انه فى سعادة يحسد نفسه عليها .. لقد لمس السماء بيديه .. وكل ليلة ينام فى أحضان زوجته البيضاء التى تحبه أضعاف حبه لها .. !!
وانتقل من المستشفى الى عمل جديد فى فندق محترم .. وزاد رزقه ، وارتفعت ارباحه ، ان المرأة البيضاء

تجلب الرزق أيضا .. ! لقد سجل انتصار حياته ، ولو مات هذه اللحظة لكان أسعد خلق الله .. فهو لا يريد من الدنيا أكثر من هذا .. !!

ووضعت « أحلام » بنتا ، وسعد « خليل » بالطفلة التي ستزيد من ارتباط « أحلام » به ، وقرر أن يصنع شيئا من أجل مستقبل الطفلة لابد أن يحصل على عمل في البلاد العربية يمكنه من أن يبنى بيتا يؤجر بعضه ، ويسكن بعضه .. وبدأ يجرى الاتصالات لتحقيق أهدافه .. بعد عامين من ولادة الطفلة استطاع أن يسافر الى « السعودية » .. بمرتب قدره خمسمائة جنيه شهريا، وكان يعيش في الفندق الذى يعمل فيه ، وأسرع يرسل اليها كل ما يقع فى يده .. فلما اكتمل المبلغ خمسة آلاف جنيه .. أرسلت اليه تقول انها عملت بما يحقق حلمه .. فقد تبرع والدها لها بقطعة ارض ، وشرعت تبنيهـــا بالمبلغ فى قريتهم « منيل شيحة » القريبة من الجيزة .. وفى مدى سنوات ثلاثة كان مجموع ما أرسله لها اثنى عشر الف جنيه ، وفى الشرائط المسجلة التى كانت ترسلهـــا له ، وفى الخطابات كانت تقحم اسم « سيد » .. انه هو الذى اشترى لها الاسمنت ،والطوب وهو الذى جاء بمقاول السباكة ، وهو الذى يعمل كل شيء .. انه جار مخلص شديد الاخلاص ، وذهبت الى « السعودية » لكى تؤدى « عمرة » وهناك حدثته عن « سيد » حديثا لا ينتهى .. مما جعله حينما قـرر العودة فى اجازة منذ شـــهر أن يبحث عن هدية تليق بخدمات « سيد » فاشترى له قطعة صوف ممتازة .. !

وعندما وصل ، ودخل البيت الجـــديد .. اقبل

« سيد » عليه يهنئه بسلامة الوصول .. التقت عيون الرجلين .. أحس على الفور ان هذا « السيد » تحشرج به وجدانه لا يريد أن يهضمه .. من الجلسة الاولى .. لاحظ انه شغل مكانه في البيت .. المكان الذى كان يجب ان يكون له .. يتحدث الى « احلام » يأمر .. ينهى .. يشير .. يقوم نحوها .. فيدخل عليها المطبخ . يهمس اليها بكلام ، وتسمع هى . أما هو فغير موجود .. ضاع « خليل » .. و « احلام » ازدادت جمالا .. امتلأت بعض الشيء .. انوثتها أصبحت أكثر جمالا ، وأشـــد وضوحا .. وهذا « سيد » فحل من فحول الريف يعمل خفيرا فى مجلس المدينة لـكنها وظيفـــة شرفية .. لا يمارسها .. انه متفرغ تماما « لاحلام » وهو صاحب ارض فى بلدتهم « الحوامدية » ، وهو مهاب مسموع الكلمة فى المنطقة .. له سطوة .. متزوج وله أولاد ..

كل ماكنت تخشاه يا « خليل » قد وقع .. يالشماتة الاقارب ، والاهل ولكن لابد من الدفاع عن النفس .. أن « سيد » قضى على وجوده تماما .. وهى عاونته فى ذلك .. لا يكفيه أن يستولى عليها فى البيت .. انه يجىء فى أى وقت فيطلب منها أن تخرج معــــه وتطيعه دون أن تفكر فى القاء كلمة على « خليل » وقد تخرج معه فى الصباح فلا تعود الا فى الليل وتخرج فى الليل فلا تعود الا فى الصباح .. وهب يدافع عن نفسه .. فصاح فيها غاضبا .. انه لا يريد أن يدخل «سيد»، هذا بيته .. وكان الرد .. ردها هى .. أن « سيد » يدخل وقت ما يشاء ، واذا كان ذلك لا يعجبه فان الباب يتسع لخروج الجمل .. !! ثم تمهلت فى حديثها ،

وقالت أن « سيد » هذا يمكن ان يضعه فى قفة قتيلا ، ويلقى به فى النيل .. دون أن يبحث عنه أحد ، فلا داعى لان يموت قتيـــلا ، ويمكنه أن يذهب الى حال سبيله ، اذا كان « سيد » يضايقه ..!!

وقعت الواقعة . وجاءت النهاية سريعا .. بعد بناء البيت على أرض والدها ، وكل شيء كتبه باسمها ، والآن تريد أن يتركها ويمضى بعد عذاب وكفاح أكثر من عشر سنوات ، وذخيرة العمر التى ادخرها ليحمى مستقبله والعار هدية منها اليه فوق كل هذا .. !

لقد مرغت « أحلام » أحلامه فى التراب .. كان حلمه ان يستولى على امرأة بيضاء .. ولكن الحلم تحطم ، وسقط الذباب فى طبق العسل الذى يشتهيه .. وذهب الى والدها وأخبره بما كان لكنه نهره وهدده اذن فهى مؤامرة .. لـــكى يترك كل شيء ، ويمضى .. باءت محاولته فى ان يكون مالكا لها وسيدا لامرأة بيضاء بالفشل .. بعد أن دفع ماضيه ، ومستقبله على مائدة المقامرة . ليس أمامه الا أن يحقق حلمه ويتراجع .. ويتعامل مع هذه البيضاء من المنطلق الذى يتعامل به مع الحسناوات البيض وتوسل اليها أن تخفف من مضايقاتها له .. حتى يحين موعد سفره الى السعودية .. ! لكنها اشترطت عليه أن يكف من مضايقاته ولا يقحم نفسه بينها وبين « سيد » اذا أصر على البقاء حتى سفره .. !

الغريب ان فكرة الطلاق لم تراوده خلال ذلك الجحيم .. كان لا يريد أن يفقدها حقيقة فهو سعيد بهذه الملكية الوهمية التى يعيشها وهو يرى ان بقاء زمامها فى يده .. اروع ما ربحه من هذه المغامرة .. لا يريد أن يشمت فيه

الاقارب ، ولا أن يشعر بهزيمة رسمية أمام « سيد » هذا الذى ينتزع منه « أحلام » .. ويعزى نفسه بأنه يرفض الطلاق من أجل ابنته ، وولده .. ويغطى الحقيقة تحت كل هذه التراكمات .. الكاذبة .

لكن كل ذلك زادها غلوا فى كراهيته ، واحتقاره .. ونصحته بأن يطلقها اذا كان يريد لنفسه الخير .. لكنه رفض .. وفى يوم الحادث ، جاءت فى الرابعة مساء مع « سيد » وكانت معه طوال اليوم .. صعدت الى الشقة .. فتح « سيد » بالمفتاح الذى معه .. كانت تمسك ببطنها ، وكان « سيد » يحمـــل الطفل .. « خليل » كان فى غرفته فى الشقة .. لم تتحدث اليه ؛ ولم يتحدث معه « سيد » اضطر أن يذهب اليهما فى غرفة « احلام » كانت نائمة على السرير تتألم ، و « سيد » يغطيها بالملاءة .. ثم وجهت حديثها الى « سيد » تسأله متى سيعود فقال بعد العاشرة مساء .. ونصحها بأن تشرب شيئا دافئا .. وخرج « سيد » دون كلمة .. وبقى « خليل » ينظر فى بلاهة .. كان الطفل يبكى — فقالت له « خذ الطفـــــل ، واعمل له رضعة » ونفذ ما أمرته به .. !!

بعد أن أرضع الطفل تركه نائما فى فراشه .. ودخل غرفتها .. كانت نائمة يقظة .. ســألها ان كانت تريد طعاما ، وعتب عليها .. لو أنها بقبت فى البيت اما كانت طبخت ووجدوا الآن ما يأكلونه .. ؟

فأجابته ثائرة بأنها لا تريد أن تأكل ولا أن تشرب ...

ثريد فقط أن يتركها ، ويمضى .. أن يطلقها .. واذا كان متعلقا بولديه فليأخذهما معه ..! انها لا تريده ولا تريد آثاره .. !! وتركها فى ثورتها ، وقال انه سوف يغسل وجهه ، ويخرج ليبحث عن شيء يصلح للعشاء .. !

ووضع فوق « البوتاجاز » وعاء به ماء ، ثم دخل غرفته فعاد « بالفوطة » ، كانت المياه « غلت » فوق البوتاجاز ، وفوجيء بها تدخل المطبخ فتركها وشأنها ، وحمل المياه بين يديه .. لحظتها شعر أنها تناولت شيئا من دولاب المطبخ ، وأنه لابد أن ينظر خلفه .. فقد تكون فى حاجة الى معونته .. لكنه فوجيء قبل أن يكمل استدارته بأن يدها مرفوعة بسكين مسددة نحوه .. فأسرع يقذفها بالماء الساخن ، حركة سريعة تفتق عنها ذهنه لكى يعوقها .. وسقطت السكين من يدها ، وهى تحاول أن تزوغ من المياه الساخنة .. فأنحنت تلتقطها ، ولكنه كان أسرع منها .. فهجمت عليه تحاول انتزاعها .. فراح يطعنها لكى يوقف هجومها ولكنها استمرت فى الهجوم .. واستمر هو فى الطعن .. لحظات جنون ... فجرت المخزون فى أعماقهما .. هى ايقنت انه قاتلها ، وهو أيقن انها قاتلته .. وتفجر الدم ، وعلا صراخها تستنجد بالجيران ، وسقطت بعد أن عجزت عن المقاومة .. فتركها وجرى الى غرفته .. فأغلق الباب عليه بالمفتاح .. كان يخشى أن يجيء أهلها فيقتلوه .. !

وحينما أحس ان الشقة امتلأت بالجيران وبالاقارب .. تسلل من نافذة غرفته الى الشارع ، واستتر بظلمة

الليل حتى وصل الى مركز الجيزة ليسلم نفسه .. للرائد عبد العاطى معاون مباحث المركز .. الذى اتصل بالعميد حلمى الفقى ، والعقيـــد ابراهيم راسخ مدير المباحث ، وجلس الجميع يستمعون الى قصة « خليل » الذى ذهب ضحية حلمه الذى كان يراوده طول عمره .. ان يمتلك يوما امراة بيضاء .. !! .

قاتل حياته جملة قصيرة

القاتل فى هذه الجريمة .. ما تجاوز الربيع من عمره .. حياته جملة قصيرة .. حزينة الحروف .. شقية الكلمات .. سبقت مولده اخطاء .. زرعته آلاما فى ارض الندم .. وكان الحرف الاخير فى حياته جريمة قتل ..

هل كان لابد من أن يصبح « وحيد » قاتلا .. ؟ وهل هنـــاك قوة خارجة عن ارادته كانت تدفعه فى حتميـــة لانعرفها لكي يقتل ضحيته « يوسف » ..؟ وان كـــل أيامه السابقة كانت تعده لهذه اللحظة التى وجد نفسه فيها .. يرفع يديه بكامل ارادته .. ليطبق على عنق القتيل الذى سقط مغمى عليه .. واعتقد « وحيد » انه مات . فانشغل فى عمل آخر .. كان هو دافعه الى زيارته غير ان القتيل استعاد وعيه ، ووقف يدافع عن نفسه مرة أخرى فاذا « بوحيد » يندفع نحوه . فى هذه المرة كان العنف مضاعفا .. كانت هداة الشر التى غشيته بعد الجولة زايلته .. وضاعفت مفاجأة يقظتـــه نزعات الشر وضخمتها .. احس « وحيد » ان وجود « يوسف » فى وعيه الكامل .. لن يمكنه من الاستيلاء على ما كان يريده .. فهجم على عنقه وراح يضغط ..

حتى تحشرج الهواء فى حلقــــه .. ولم تعد فى الجسد مقاومة ، وثقل العنق بالرأس على يديه .. فترك الجسد كله يهوى الى الارض ، وأحدث الجسد صوتا مكتوما ، وهو يرتطم بالارض ، ورأى خيوطا من الدماء تسيل من تحته عند الرأس أيقن لحظتها انه لن يقوم مرة أخرى .. ومد يده يتحسسه .. ومــــلأه الذعر ... فالرجـل قد مات وكان يريده أن يغيب عن الوعى لا أن يموت .. وخيل له أنه لم يعد يسرى ولم يعد يسمع .. وأن الدنيا التى كانت منذ دقيقة .. لم تعد هى ..

مات « يوسف » الذى يقضى أيام المعاش فى غير هدوء .. وأصبح « وحيد » قاتلا .. كل ذلك حدث بين شخصيتين غريبتين . فالقاتل فى الثالثة والعشرين، والمقتول فى نحو الستين ـ كان يعمل مساعدا فى ســلاح الحدود . والقاتل حتى لحظة القبض عليه كان يعمــــل فى صيانة أجهزة التكييف والثلاجات لاحد الفنــــادق فكيف تلاقيا .. ؟ ليذهب أحدهما الى القبر ، والآخر الى السجن .

فى عام ١٩٥٦ ، والعدوان الثلاثى يقع على مصر .. وضعت « وحيد » أمه فى نفس اليوم الذى اشتدت فيه الغارات على القاهرة . فحملته فى اليوم الثــانى ، وسافرت الى الريف .. كانت قلقة . مذعورة مضطربة تخشى على طفلها ، وعلى نفسها ، وأرضعته كل اضطرابها وكل خوفها . ثم توقف العدوان ، وعادت الى القاهرة .. لم يكن طفلها الاول ، ولكن كانت هناك أخت تكبره وجاء بعده طفل آخر ..

لكن « وحيد » منــذ أن وعى الاشـــياء حوله وجد المسئولية فى عنق والدته .. أمه هى التى تقوم بكل

شيء في البيت .. اما الاب فكان يراه زائرا غير مرغوب في زيارته .. لم يكن يدرك لماذا أبوه دون بقية الآباء لا يزورهم الا لماما .. الآباء كلهم يعطفون على أبنائهم .. يأخذونهم الى نزهات .. يذهبون معهم الى المدارس احيانا .. هو الوحيد دون أبناء الحارة .. الذى لا يجد والده حينما يطلبه .. حتى فى المدرسة كانت امه هى ولية أمره .. وكان ذلك يجعل الاولاد يسخرون منه . وهذا جعل أيامه فى المدرسة محنة يتمنى فى كل يوم زوالها !

بعد أن دخل مدرسة روض الفرج الاعدادية انتهز فرصة زيارة والده لهم . وتجرأ فسأله .. لماذا يختفى كثيرا .. ونظر الاب اليه طويلا .. ثم قال له ان الجواب ليس عنده ، وانما عند والدته . وسمعت الام الحوار .. فالتفتت الى الاب ووصفته بأوصاف فظيعة ، وقالت عنه انه لا يستحق الدخول .. فكل الآباء يشقون ليسعد أولادهم .. الا هو فانه لا يهمه الا مزاجه ، وكل ما يكسبه ينفقه على الافيون هذا اذا كسب ، ولهذا فهى تطرده دائما .. لانه لا يجىء الا اذا كان فى حاجة الى نقود .. ذلك لانه « أفيونجى » ..

ومع أنه لم يكن يعرف مدلول هذه الكلمة الا انه فزع منها .. فقد كان والده دائما .. مصفر الوجه .. منهك القوى يجر ساقيه كانه عائد لتوه من مستشفى .. وكانت والدته تتغيب كثيرا عن البيت وينتهز الاب الفرصة فيجىء وهى غائبة ، والويل له اذا وجدته .. فأحيانا كان يصعب عليه وهى تهم بضربه ..

ان العمل الذى كانت تعمل فيه والدته ظل سرا مغلقا

عليه ، وكانت تقول له ولشقيقته الا يذكر أمام الجيران انها تعمل .. فقط كانت تخرج مع الصباح الباكر ، ولا تعود الا قبل الغروب بقليل .

وحصل على الاعدادية ، وانتقل الى المركز للتدريب المهنى .. ليتعلم فيه اصلاح الثلاجات ، واحتاج الى مبلغ جنيه ونصف كرسوم التحاقه ، وعاد من المركز ليجد والده فى البيت .. فذكر له حاجته الى المبلغ وقال له والده .. انه سوف يأخذه معه الآن الى قريب له .. يعود من عنده ومعهما المبلغ .. لان هذا القريب من الذين كان ينفق عليهم هو فى الماضى .. وركب معه القطار الى المطرية ، وكانت المرة الاولى التى يرى فيها « وحيد » « يوسف » هذا . كان يعمل فى وظيفته ، وكانت معه زوجته ، بعد أن قدم لهما الشاى .. اعتذر عن تقديم المعونة المطلوبة ، وخرجا ليلا يتعثران فى الطريق الى محطة القطار ، وكانت ثمة أضواء تسقط وتذوب على وجه والده .. من مصابيح الطريق .. ولاحظ خلجات فيها سمات الهزيمة والمرارة .. تتعاقب على وجه والده ، وهو يقول له .. « ان هذا النذل يملك أضعاف هذا المبلغ .. لكنه نذل ناكر الجميل ! » .

عادا الى البيت فى وقت متأخر ، واستقبلتهما الام .. كانت قد عادت من عملها .. سلمته المبلغ الذى وضعه تحت وسادته .. وأصرت على طرد الاب . الا أنه توسط له لكى يبيت وفى الصباح مضى الاب ، واستعد «وحيد» لكى يذهب الى المدرسة . ومد يده تحت الوسادة فلم يجد المبلغ .. وصرخ يعلن والدته بالخبر .. فلطمت

خديها .. وقالت له : ان « الافيونجى » أخـذه ، وهذه نتيجة وساطتك له .

وطلبت منه أمه أن يتغيب اليوم .. وآخر اليوم سوف تعود له بالمبلغ .. سوف تطلب سلفة من الذين تعمل عندهم على مرتبها .. وفى هذا الظرف الدقيق .. تنبه الى شىء هام .. ان والدته تعمل فى مستشفى فكيف تقترض على مرتبها .. وقال لها فى خبث رغم المعاناة التى يعانيها .. ولكن هل سيقبلون يا أمى .. ؟ فأجابت انهم أهل خير ، وهى تعمل فى خدمتهم منذ عهـــــد طويل ، وصرخ . فقد نسيت الام حذرها ، ولم تتذكر الا على صوته :

ـ وماذا تعملين يا أمى ..!

ـ مربيه .. يا حبيبى .. !

وضمته الى صدرها وادرك لماذا كانت تقول له هو واخته الا يذكرا أمام الجيران انها تعمل !

صدمات ، ومفاجآت ارتبطت بمفتاح واحد تمنى لو انه ضاع منه الى الابد . لكنه دائما فى عقله ، وفى خيــاله مبلغ الرسوم بكراهية الاب بزيارته للرجل الكريه بالام التى تعمل فى البيوت وتكذب عليه .. !!

وانزوى داخل نفسه .. أحب الانطواء .. كره الناس . كان يشعر انهم جميعا يعرفون ان والده « افيونجى » ، وان والدته هى التى تعـــــولهم ، وان قريبهم رفض أن يقرضهم وظل يتعذب من كابوس ، وخلال كراهيته لابيه.. بدأ يكره كل الآباء .. حتى تخرج فى مركز التدريب .

ولكن قبل أن ينتهى من هذا المركز .. طرق بابهم ذات

يوم أحد الجنود .. قال لهم ان والدهم مات بأحد المستشفيات ..

ينهار البيت الذى يسكنونه فى روض الفرج ويصبح عليهم أن يجدوا مسكنا ، وتنشط الوالدة ، ولكنها لا تجد سكنا الا فى المطرية مرة ثانية . يلتقى بالرجل الكريه ويسكنون على مقربة منه ، ويراه كل يوم تقريبا .. فهم يسهرون لمشاهدة التليفزيون فى منزله !

والرجل فى المعاش .. يريد أن يشغل وقته ، ولديه النقود والفتى لم يجد عملا بعد .. وتم الاتفاق بينهما .. الرجل يشترى العدة والخامات ، والفتى يعمل بكل جهده ، وصنع له ثلاجة كاملة .. كل ما اشتراه هو الموتور فقط ، وفرح الرجل وراح يحصى أرباحه اذا ما استمر العمل على هذا المعدل .

لكن الفتى التحق بالعمل فى أحد الفنادق ولم يعد لديه من الوقت الا ساعات ما بعد الظهر ، وأيام العطلات ، وبدلا من انتاج الثلاجات اكتفى بالاصلاح ، ولكن الرجل كان عنيدا ، وكان يمنع عنه العدة .. فلا يسلمها له الا اذا دفع ايجارها مضاعفا ثم أحس انه بذلك يضاعف دخله ، ويجعله يستغنى عن العمل لحسابه هو .. فقد كان يتفق مع أصحابه أصحاب الثلاجات على اصلاحها .. على أن يقوم الفتى بالاصلاح .

ولم يكن مع الفتى من النقود ما يكفى لشراء عدة تصبح ملكه .. بدلا من أن يتحكم فيه هذا الرجل الجشع .. ومنذ أسبوع اتفق على اصلاح ثلاجة ، وذهب الى «يوسف»

لكى يستأجر منه العدة .. كانت الساعة الثامنة مساء ..
وجده وحده فى الشقة كما توقع .. حينما رآه فى سخرية
انها تجارة لا زيارة ، وهو لن يؤجر له العدة .. فليوفر
محاولاته .. شرح له الورطة التى يجتازها .. قال له انه
فى حاجة ماسة هذه المرة الى العـــدة .. لانه اتفق مع
صاحب الثلاجة على الاجر . ولكن الرجل أصر على أنه لن
يعطيه ..

لكن الفتى قال انه سوف يأخذها بالقوة كانا يجلسان
فوقفا .. وأراد أن يمرق الى المكان الذى فيه العدة ..
فتصدى له الرجل بجسده .. ومنعـــه بيديه .. ونظر
الفتى الى وجهه كان اصفر الجلد .. متغضن الوجه كان
والده الذى سرق مبلغ الرسوم . كلهم يقفون فى وجه
حياته .. يريدون اعاقته عن مواصلة الحياة .. الحقد
الذى تفجر بكاء منذ سنوات حينما ضاعت رسوم الالتحاق
تفجر هذه اللحظة شحنة غبية من الكراهية فى ذراعيه..
ورفع يديه يحيط بهما عنق الرجل .. ولم يكن فى الشقة
سواهما .. فزوجة « يوسف » سافرت للعمل فى الكويت
منذ شهور وأراد الرجل أن يتكلم لكنه عجز عن الكلام .
ووقعت المأساة . انتقم من أبيه ومن أمه ، ومن أيامه ،
ومن اهل والده ، ومن الجميع وهو يضغط ، وكأنه يقتل
الناس جميعا ..

وبعدها أغلق الباب ، وترك المقتول ومضى وبدأت أجهزة
البحث تعمل .. العقيد عباس العـــاصى رئيس المباحث
والمفتش حازم شفيق ، والرائد صلاح هاشم ، والمقدم

عادل سليم ، والمقدم محمد امام ، ورئيس مباحث قسم النفس ماهر حسن ، وصلوا بعد سبعة أيام من العمل المضنى الى القاتل « وحيد » وكان الدليل الذى قادهم .. بصمة ابهام وجدت على كوب شاى ..

وآثار قدم كانت فوق سرير المقتول : وكان « وحيد » قد اعتلاه ليبحث فوق الدولاب عن بقية أجزاء العدة التى يريد الاستيلاء عليها .

شادية الأحزان

ودفع الفتى ثمن الحب الذى لم يمارسه الا شهورا .. كل أيامه .. ماضيه وحاضره ، ومستقبله ــ واستشهد مبتسما .. عيناه على وجه فتاته وشفتاها على أذنيه .. تغنى له نشيدا كان يحب أن يسمعه منها .. ومات لتعيش الفتاة راهبة ألم . وشادية أحزان .

***

كل شىء أحس به ليلتها كان جديدا عليه .. لا يستطيع ان يحدد ماذا يعتريه .. آفاق تتفتح فى حناياه .. كل ما هو مظلم فى أعماقه .. تكتسحه أضواء عارمة متدفقة .. طمأنينة قلقة تتمطى داخله .. تجعله ساكنا هادرا فى نفس الوقت .. لم يعد يضيق بمعاناته مع المخرجين ومساعديهم .. أحب ساعات يومه بعد أن كان يخافها .. عادت الاحلام فى النجاح تملؤه بعد أن هجرته .. زحفت الآمال تحاصر خياله .. لتضعها معــــه فى موكب واحــد .. يزفان الى حياة سعيدة .. !

لم تكن المرة الاولى التى يلتقى فيها بفتاة زميلة له من « الكومبارس » .. فهن كثيرات فى ممرات التليفزيون .. لكن هذه الفتاة بالذات .. لايدرى كيف تمكنت من اختراقه

.. لقد اقتحمته بنظراتها الضارعة المتوسلة .. سكنت في أعماقه حزنا مثيرا يستجدى الود ، ويستدر الرحمة.. ويحول أضعف الرجال الى فارس .. يستشهد راضيا في سبيل صيانة عينيها من الدموع ، ولعل هذا هو الذى دفعه الى أن يشتبك مع مساعد المخرج الذى اغلظ لها الكلام .. فأبكاها ثم نهرها في عجرفة مفتعلة .. وأمام ذلك فقد الحرص على العمل ، ونسى أن هذا المساعد هو الذى يثبت « الكومبارس » في أذونات الصرف أو يمحوهم ، وهو المتصرف في أرزاقهم وأسرع يحول بينه وبينها ، وبذل جهدا لكى يهذب من اعتراضه على المعاملة القاسية .. الا أن المساعد هاله أن يجرؤ هذا «الكومبارس» على مثل هذا .. وكان لابد أن يتخذ موقفا حاسما .. فرد عليه ردا قاسيا ، وطلب منه أن يغادر البلاتوه خلفها .. ولم يجد الفتى بدا من أن يرد لمساعد المخرج الصاع صاعين .. ثم يمضى معها الى الخارج .. وهو يشعر انه ربح أضعاف ما خسر .. !

بعد خطوات تقطر حزنا .. قالت له أنها تأسف لانه خسر يوما بسببها ، وهزته نبرة الالم في صوتها .. فتوسل اليها ألا تأسف لانه لا يريد أن تضيف الى احزانها حزنا جديدا يكون هو السبب فيه .. فهو قد فعل ما فعل ، وهو مقتنع كل الاقتناع بأنه على حق ..

كانت هذه هى البداية .. ومع الايام غاصت في حياته، وغاص في حياتها .. عرف أنها يتيمة .. كان لها أب لا تذكره .. فقدته قبل أن تعرف ما حولها .. تركها مع شقيقة لها تكبرها ، ووالدتهما دون معاش ، ولا سند في الحياة .. كان واحدا من تجار « الشنطة » والتقى

بوالدتها فى دمشق ، وجاء بها الى القــاهرة واكتشفت الزوجة بعد موت الزوج الذى مرض طويلا .. أنه لم يترك لها سوى الحقيبة الفارغة .. واضطرت أن تقبل الزواج من أول رجل تقدم لها .. اكتشفت بعد ذلك ان الوحوش الضارية أرق منه ، وأرحم ، ورفض أن ينفق على تعليم الفتاتين مليما من كسبه ، واحترفت أمها خياطة الملابس حتى تتمكن من أن تجعلهما تحصلان على الاعــدادية .. والتحقت أختها بعمل فى أحد الفنادق السياحية وهوت هى العمل فى التليفزيون لعل الفرصة تواتيها لانها تشعر أنها خلقت للتمثيل .. ورغم أن والدتها تلح عليها كثيرا لكى تقلع عن هذه الهواية ، وتساعدها فى عملها الا أنهــا ترفض باصرار .. هذا الى جانب العذاب الذى تلقاه من زوج والدتها .. فهو يريد أن يغمض عينيه ويفتحهــــا فيجدها متزوجة .. فهو لا يؤمن ، ولا تدخل رأسه حكاية الفن هذه التى تحدثه عنهــــا .. كلما فاتحها فى الزواج .. !

وبين أم لا تعرف سوى ارضاء هذا الزوج ، وبين زوج أم لا عقل ولا قلب له ، وبين العذاب اليومى الذى تلقاه من عجرفة مساعدى المخــــرجين .. تمضى حياتها فى محاولات عديدة لكى تعيش على مقربة من الشاطىء الذى يمكن أن تحقق فيه حلمها فى أن تصبح ممثلة .

وعرفت هى أنه الابن الثالث ، والاصغر لاحد تجــــار الحبوب ، وأنه مثلها تماما .. عشق التمثيل ، وفشل فى المدارس الثانوية ، ولم يحصل الا على تأكيدات من كل المدارس التى تنقل فيها بأنه لن يحصل على التوجيهية .. حتى لو حدثت معجــــزة .. وهو يحاول أن ينجح فى

التمثيل .. حتى لا يخيب ظن والدته التى راهنت والده على أنه سوف يتفوق على كل الذين نجحوا فى التوجيهية، ودخلوا الجـــامعة .. والجانب اللين فى حياته هو ان والدته مؤمنة بموهبته ، وهو يجربها فيها دائمــــا كلما احتاج الى نقود .. !

فى كل يوم يحس كأنه عرفهـــــا الآن فقط .. نفس اللهفة ، ونفس الجدة ، ونفس التألق الحزين الذى ينساب من نظراتها .. وتجرأ ذات يوم وحكى لوالدته عنها ، وفى اليوم التالى أخذها ليقدمها لوالدته ، ولكن الام قالت له اذا كان يريد أن يتزوج .. فلابد أن يتوب عن الفن ، وجنون الفن ، ويستخير الله ، ويجلس مع والده يساعده فى تجارة الحبوب ، وبعدها يمكن أن تعرض عليه حكاية الزواج .. بشرط أن تنسى هى الاخرى حلمها فى أن تكون ممثلة .. وفزع الفتى من العـــرض أضعاف ما فزعت الفتاة .. !

وخيل لهما أنهما بطلا فيلم سينمائى .. تقف الدنيـا كلها فى وجه أحلامهما ، وليس لهما الا أن يقاوما ، ولابد ان ينتصرا ، ولابد أن يحتفلا فى النهـاية بزواجهما .. رفضت أحلامهمـــــا أن تستسلم للواقع المرير الـذى يحاصرهما .. وأخذته الفتاة الى والدتها ، ووافقت الام لكنها طلبت فرصة للحصول على موافقة زوجها .. !

وبذلت الام كل ما فى حوزتها كامرأة لتسوق الخبر الى زوجها ، وخلطت حديثها بالـدعاء له ورسمت ابتسامة كبيرة على شفتيها ، وشحنت صوتها بكل ما بقى لهـــا من أنوثة .. لكن كل ذلك لم يؤثر فى الرجل الذى هب

فيها صارخا يؤكد أنه اذا كانت الفتاة ستتزوج فلابد ان يكون الزوج هو « سليمان » .. فهو الجـــار المرهوب الجانب ، والشاب الذى تتقى الحارة كلها شره ، وهـــو أيضا تقدم لطلبها منذ شهور ، وقبل أن ينتظر حتى تيأس من حكاية الفن هذه فيتزوجها .. وقد اعطاه وعدا بذلك .. وهدده اذا تزوجت من « محمـــود المليجى » أو « فريد شوقى » فسوف تكون فى ذلك النهاية لها ولامها ، وله ..!

وأسقط فى يد الام .. فهذا هو الامر الذى لم يخطر لها ببال .. وفوجئت الفتاة « بسليمان » هذا يعترض طريقها ، ويقول أنه شاهد معها شابا مرتين .. فاذا رآه مرة أخرى معها .. ليس هنا فقط ، وانما فى أى مكان .. فسوف تكون نهايته على يديه .. ويتبقى بعد ذلك حسابها هى .. وفوجئت به يتكلم كصاحب حق عليها ، وظنت أنه بحكم حمايته للحارة ، وأهل الحارة يتكلم فقط، ولكنها صعقت عندما قالت لها والدتها الحقيقة ، وأنه تحدث مع زوج أمها فى الامر .. فلما سألتها لماذا وافق على أمر لا يملكه .. أجابتها بأن « سليمان » اذا أراد أمرا فانه لا ينتظر موافقة أحد .. وجن جنون الفتاة وايقنت ان حبها مهدد بالضياع .

وعندما التقى بها فتاها فى اليوم التالى .. رأى الحزن فى عينيها مضاعفا ، والالم الذى ينضح به محياها تكلم بعد أن كان صامتا .. وانتهى عملهما معا ، وركب معها لكى يوصلها الى منزلها كالعادة ... لكنها وبكل حرصها عليه ، وحبها له .. روت له الجديد فى موضوعها .. وكيف أن « سليمان » ظهر على الشاشة ولا سبيل الى تفاديه الا بالهرب من وجهه الى الابد ..!

وشعر الفتى بأن أصابع من فولاذ تعتصر قلبه .. وأن كل شبابه يتحفز ليواجه الهول فى سبيل هواه .. فليس هو الذى يتراجع .. أن مجرد احساسه بأن حبه فى خطر .. يجعله يستميت فى الدفاع عنه .. وأصر على أن يذهب معها ، وحاولت أن تثنيه .. توسلت اليه .. بكت بدموعها لتحول بينه وبين تهوره .. لكنه رفض أن يتراجع .. زادته الدموع اصرارا على موقفه .. وفى حى المطرية ، وعلى ناصية حارة الكومى التى تسكنها .. ولم تكن الساعة قد تجاوزت الثانية بعد الظهر فوجئت وفوجىء فتاها « بسليمان » .. يمسك به من كتفه ، ويضع المطواة على عنقه ، وهى حادة تلمع .. ولا ينقصها لكى تغوص الا أن يدفعها .. وقال له اخرج السلسلة التى ترتديها ، وقدم الساعة دون مناقشة ، وأهرب هذه المرة بجلدك .. فلن أذبحك اكراما لها ! لم يكن الموقف يحتمل مناقشة . لا سيما ، وقد رأى المارة يولون هاربين دون أن يحاول أحد التدخل .. فأسلم ساعته والسلسلة .. والذلة تخترق جسده صاعدة هابطة .. واستغل موهبته فى أن يبتلع الموقف ، ويرسم ابتسامة يرجوه فيها فقط أن يذهب معها الى البيت لكى يعود من هناك بأوراق .. حتى لا يحضر مرة أخرى ، ووافق «سليمان» ومنحه خمس دقائق .. ودخل الفتى « سيد » منزل الفتاة .. وأسرع يختطف سكينة يخبئها تحت ملابسه .. وعبثا حاولت مرة أخرى أن تثنيه .. لكنه قفز منها ، وهبط الى الشارع .. كان « سليمان » يجلس على المقهى ، وأشار له ليقترب منه .. لكى يؤكد له أنه لو جاء مرة أخرى فلن يعود .. واقترب منه « سيد » حتى

لم يعد بينهما سوى سنتيمترات .. وفجأة أخرج سكينة في سرعة ، وطعن بها « سليمان » الذى زاغ من الطعنة بعنقه فاصطدمت برأسه الذى انبثق منه الدم .. فأسرع يهاجم الفتى بمطواه ليدفعهـــا فى صدره .. ثم يسحبها سريعا ليدفعها ، وسقط « سيد » فى نفس اللحظة التى وصلت فيها « ميرفت » لتنحنى عند رأسه .. يملأ عينيه منها قبل أن يغمضها الى الابد ، أما هى فركعت مذهولة تجمع أحلامها التى تحولت الى جثة تعوم فى بركة من الدماء .. ورفضت أن تتركه .. كانت تهمس فى أذنيه بكلماته التى قالها لها .. وكان يسمعها ليموت وصوتها فى أذنيه وصورتها فى عينيه .. !

واختفى « سليمان » . فر من المطرية كلها .. وفى مكتب العميد عبد الحميد منصور عقد الاجتماع الذى ضم العقيد عباس العاصي رئيس المباحث ، والمقدم حازم شفيق مفتش المطـــرية والزيتون ، والشرابية ، ورسمت خطة للقبض عليه قام بتنفيذها الرائدان عادل سليم ، وصلاح هاشم وقد وجدا القاتل مختفيا عند أحد أقاربه باحدى العزب التابعة لقسم المطرية ، والجرح الذى فى رأسه كان ما زال ينزف الدماء .. وقـد اعترف بالتفصيل أمام النيابة .. !!

الـــولـــد الـــرابـع

أعوام « الولد » وأيامه .. لا تقوى على حمل الصدمة.. مأساته فوق قدراته .. تتكسر أغصان حياته .. تتساقط منه اعماقه .. يرتعد كمريض الحمى يغوص فى اللحظة الحرجة .. يعود الى قمة وعيه .. تحوطه أشـــباح جريمته .. يحاول أن يهرب منها يتخلص .. يتملص يعترف يصرخ فى المحققين .. أنا لم أكن القاتل ..ويسقط فى هوة الندم .. تجتاحه عواصف هوجاء لا يمكن الا أن يبكى أمنيته الآن .. أن يسقط ميتا .. حتى لا يعــانى ما يعانيه ، ويفلت من عقاب قادم لا شك فيه . لـكنه يمضغ ألمه ويبتلع غصته ، وهو يروى قصته ..!

فتحت عينى على الحياة فى رحابها..منذ أن وعيت،وهى جزء من أسرتنا .. أحيانا يجىء ترتيبها قبل أمى وأبى ، وأحيانا بعدهما تسكن معنا .. « شقتها » فى مواجهة شقتنا .. ولما كانت وحدها ، ونحن عشرة أشخاص فى الشقة .. من أجل ذلك كنت دون أخوتى الجأ اليها .. اختارتنى أنيسا لوحدتها ، وأرضانى ذلك الاختيار وفى عينى أمى وأبى كان مثل ذلك الرضى وكان ترتيبى الرابع بين اخوتى ..

يشغل والدى وظيفـــة تافهة فى وزارة الزراعة .. لا يكفيه مرتبه ، ويعمـــد الى العمل بعد الظهر فى كل ما تتيحه له الظروف وما يمكن ان يضيف الى دخله درهما ينفقه على هذا العدد من الاولاد والبنات !

كانت تشفق على ، وأجد عندها دائما ، ما لا أجده فى بيتنا .. وهى سيدة غنية تزوج ابنها ثم ابنتها ، ورفضت أن تذهب مع أحد ، وظلت فى سكنها ، تتمتع بالدخل الكبير الذى يأتيها ، وتنفق على نفسها فى حدود المعقول ؛ وتدخر الباقى فى البنك وتشترى ببعضه ذهبا فى يدبها ، وعنقها .. !

بدأت أكبر مع الايام ، وفى شـهادة الاعـدادية .. تعرفت على « مكوجى » كنت أجلس عنده .. حانوته على ناصية الشارع تعلمت منه المهنة ، وكنت أعاونه .. ففشلت فى الاعدادية حاول أبى أن يجعلنى أكررها رفضت وصممت على العمل فى المهنة التى عشقتها .. تركنى أعمل أمام اصرارى .. !

خلال ذلك استأجر أبى شقة فى شارع الهرم أكبر من التى كنا فيها .. نقل الاسرة اليها ، وبقينا أنا وأخى الكبير فى « الشقة » القديمة .. أتمتع بحنان السيدة . وأعمل فى حانوت « المكوجى » وكان لابد أن أحصل على بطاقة شخصية .. فذهبت الى محل « تصوير » .. اذ لابد من صور للبطاقة .. وأعجبتنى عملية التصوير ، وعرضت نفسى على صاحب المحل فوافق على العمل عنده وتحولت من « مكوجى » الى « مصور » .. لست أدرى لماذا أنا هكذا .. ؟

لم يســتطع أحــد أن يقف فى طريقى .. وقد باركت

اتجاهي الاخير .. وكان تعليقها انني اعرف مستقبلى ، وحر فى سلوك اى الطرق اليه .. !

عملت فى التصوير ، وعانيت كثيرا طويلا لكى أصل الى اسرار ذلك الفن العجيب .. كنت كل يوم ارى جديدا .. وكلما تعلمت شيئا طالبت برفع أجرى .. حتى اصبح أجرى اليومى ١٥٠ قرشا على مدى سنوات اربع قررت بعدها الزواج من فتاة ربطتنى بها علاقة حب .. !

الزواج مسئولية ، ويحتـاج الى امكانات مالية .. ليست فى وسعى .. ان المبالغ التى احصل عليها من صاحب الاستديو .. بالكاد تكفينى ، وتكفى مصروفاتى التى زادت - تعلمت السجائر ومعيشتى وحدى مع شقيقى كانت تكلفنى كثيرا .. لا أنكر أن « الحاجة » كانت تمدنى دائما بالفاكهة .. بالطعام الجيد .. لكن كان من العسير أن أطلب منها مساهمة فى زواجى .. لم استطع هضم مثل تلك الفكرة .. انها تحنو على .. لكنها ليست أمى الحقيقية .. فتقدر مدى حاجتى الى الزواج او عدمه !

وتحت الحاح عشرات العوامل ، وتشابك الظروف . تقدمت الى أهل « نادية » ورحب بى والدها ، وأخوتها ، وقررنا أن نتقدم بالشبكة فى يوم قادم .. حددناه بعد خمسة عشر يوما .. وقيمة الشبكة ثلاثمائة جنيه « لا امتلك منها سوى ثلاثمائة قرش » ..!

فجأة وجدت نفسى بين فكر وقلق طاغ مدمر .. من اين لى بهذا المبلغ .. ؟ لماذا تورطت فى ذلك .. ؟ لعلى اردت ابداء حسن النية لأهلها ..؟ كنت اريد أن ارفع راسها بين اهلها .. ! لكن القيت بنفسى فى محيط من

الحيرة .. لماذا وضعت نفسى فى هــذا المـأزق .. ؟ وعجزت حتى عن العمل .. تحت تأثير هذه الضوضاء النفسية التى صنعتها لنفسى بيدى .. وأضنانى السهر .. وأصبت بالامساك ، وامتنعت عن الطعام الا ماوجدته وأكرهت عليه .. وداخلنى شعور بالعجز حينا ، وبالمرض احيانا .. حتى قواى العقلية .. كنت أحس انها غادرتنى .. أو اعتراها الضعف .. تفكيرى لم يعد صافيا .. الامور فى ذهنى .. تختلط ببعضها .. كأنها تسبح فى بخار .. أو كأننى انظر بعينى الى مرئيات عبر نافــذة قذرة الزجاج ..

أسقطت من حسابى اللجوء الى أبى تماما .. فهــو لا يملك ، ومن أين له .. ؟ هذا الى جانب أنه دفع فى « الشقة » الجديدة كل ما أدخره طوال حياته .. اخواتى ايضا هم مثلى .. مرتباتهم على قــدر مصروفاتهم .. ووجدتنى فى النهاية أفكر فيها .. فى « الحاجة » .. !

شغلتنى همومى . فانزويت بضعة أيام عنهــــا .. الحقيقة هى اننى أردت أن تغيب عن عينى هذه الايام .. شعورى بأنها تمتلك مالا هى ليست فى حاجة اليه.. واننى لا أملك ما أنا فى حاجة اليه .. جعلها فى خيالى صورة غير مرغوبة .. ولم أكن أريد ان يتركز تفكيرى فيها .. فذلك ليس فى صالحى ، ولا صالحها .. وحينما كنت اغادر الشقة مساء .. لكى اذهب الى المقهى .. كنت على موعد مع صديق لى .. رأتنى فى الحارة من شرفتها .. نادت على .. صعدت اليها .. قالت لى أن فاكهة من البلد وصلتها ، وسوف تصنع لى « شايا » ، وقلت لها : اذن سوف أرى المسلسلة فى تليفزيونها الملون ،

وكنت اتابعها فى تليفزيون المقهى .. أبدت سرورها ، وطلبت منى أن أدخل المطبخ لعمل « الشاى » ريثما تنتهى هى من صلاة العشـــاء .. وجلست تصلى وهى فوق الاريكة « الكنبة » دون أن تغادر مكانها .. !

دخلت المطبخ ـ لم تـكن المرة الاولى ـ ووضعت « الشاى » فوق البوتاجاز وخرجت الى الصـــالة .. كانت مستغرقة فى الصلاة .. المسلسلة كان اسـمها « أرزاق » بطلها نور الشريف ، وفيها يقتل شقيقه الصغير عجوزا ليستولى على مالها .. فى هذه الحلقـــة التى رآيتها معها حدث ذلك .. ركبتنى الفكرة .. حتى لم أستطع التخلص منها .. لاحظت شرودى بعد الحلقة .. سألتنى ما بى .. ؟ قلت لها أننى فى حاجة الى قرص مسكن لاننى ضحية صداع غريب .. اشارت لى على مكان القرص ..

ابتلعت القرص فى المطبخ .. وأنا ابتلعه وقعت عينى على الحديدة الثقيلة التى تضعها خلف باب « الشـقة » ليلا .. ومضت الجريمة كاملة ـ امام بصرى فى أقل من ثانية .. شـــاهدت نفسى .. أرفع العمود الحـديدى ، وأهوى به على رأسها من الخلف .. تسقط تموت فى لحظة .. أحررها من غوايشها ، ومن السلسلة التى فى عنقها .. وأغادر « الشقة » فى هدوء .. !

توقف القرص فى حلقى .. توهجت السنة من اللهب فى داخلى .. صكت أذنى دقات طبـــول لست أدرى مصدرها .. انشطرت لحظتها الى اثنين .. بعضى خرج والعمود الحديد فى يده .. مشى يتلصص .. يسترق الخطوات ـ كنت أرقبه من مكانى .. لكنه لم يسمعنى

.. ولم تسـمعنى هى .. هوى بالعمود .. اطلقت صرخة مكتومة .. لم أستطع أن ارى شيئا بعد ذلك .. أغمى على .. !

أو لعلى خرجت من مكانى ، واندمجت فيه .. صرنا واحدا .. جردتها من مصوغاتها .. خرجت الى الشارع، وجثتها مكانها على الأريكة ، ويدها مدلاة بجانبها .. !

لم أبت فى « الشقة » الليلة .. ذهبت الى بيت أبى فى الهرم .. ومع ذلك فلم يغمض لى جفن .. كنت نادما .. لكنه ليس كندم الآخرين .. كنت مهروسا بين عشرات المشاعر .. كنت مذبوحا ، وكانت قطرات دمى .. تسيل داخل قلبى .. !

بقيت فى شارع الهـرم .. أخشى ان اجىء الى الحارة .. اكتشفت الجريمة .. هبت مباحث الجيزة.. نشط رجالها فى جمع التحريات .. فوجئت بالعقيدين محسن جبر ، وطارق حكيم ، يلقيان القبض على .. انكرت التهمة فى أول الامر .. ناقشنى مدير المباحث العميد حلمى الفقى ، ورئيس المباحث العقيد ابراهيم راسخ فى آخر مرة كنت فيها لدى « الحاجة » .. لم أجد مفرا من الاعتراف .. ! الاعتراف، بأننى شـهدت الجريمة . لكنى لم ارتكبها .. الذى ارتـكبها شخص آخر .. خرج منى ثم عاد الى .. انه داخلى .. !!

ويكف الولد عن الكلام ، وتحوطه اشباح جريمته .. يحاول أن يهرب منها .. يتخلص .. يتملص .. يصرخ فى المحققين .. انا لم اكن القـاتل .. انا لم اكن الفاعل .. !!

خـــارج المعتقـــل

هل هو الان يولد من جديد ..؟ ليته كان كذلك ..
فكل مشاكله قديمة .. وهى سوف تنفجر الآن واحـدة
بعد الاخرى .. ان السجن الآن يلفظه ليلقى به ساعات
فى مديرية الامن .. ثم يصبح حرا .. أسير حريته ..
بعد ان كان حرا فى السجن .. ووراء جدرانه خمسة
أعوام ضاعت من عمره داخل أكثر من معتقل .. دون
أن يعرف تهمته على وجه التحديد .. الى أن يئسوا
منه تركوه الآن ..

كان يريد أن يفرح ، وأن ينتشى من الفرح .. لكنه
لا يجد فى أعماقه فرحة يمارسها .. فحياته الحقيقية
انتهت وأهيل عليهـــا التراب .. حينما اقتنصوه ..
وأبعدوه اعتسافا عن الحياة .. عن النسيج الذى كان
يتألف من وجوده .. استلوه كخيط غريب ، وحجزوه
فى معتقلاتهم ، تركوا بقية النسيج يحيا ، ويعيش مع
الايام بدونه .. زوجته « فتحية » ماذا تفعل الآن .. ؟

لقد مضى النسيج فى طريقه ، وتركه وحده خارج
رقعة الحياة ..

لم يكن يملك أن يقول شيئا .. بعد شهور من الاعتقال جاءت تزوره .

قالت انها عادت الى بيت أمها .. لان أجرة الشقة تراكمت عليها .. كانت تعرف ان ذلك يشعل النار فى جسده .. لكنه لم يدخله المعتقل الا اصراره على التوبة، طأطأ رأسه .. وابنه الذى وضعته حديثا على يديها .. قالت انه كان فى بطنها ليلة ان أخذوه .. وهو لايستطيع ان ينكر ، ولا ان يصدق .. شعر انه يقف فى زورق .. الارض من تحته تهتز تروح وتجىء .. وتدور ولا تتوقف .. لكن الناس يرمونهم .. وهو لا يطمئن الى الام ... يعرف أنها صاحبة « دوسيه » .. لكن ليس أمامه الا ان يصبر ويقبل ، ويتظاهر بالمرض ... لانها مثله مغلولة .. مكبلة .. حتى وهى طليقة .

لكن الذين نقلوا اليه الشكوك .. اقرب الناس اليه .. والدته وشقيقته ، كلاهما لم يكن راضيا عن هـــذه الزيجة .. وقال له شقيقه يومها .. ان فتحية ابنة امرأة مشبوهة .. لكنه صاح فى شقيقه يومهـــا .. ان الله يحاسب كل انسان على عمله هو .. فلمـــاذا يحاسبها على أعمال والدتها .. وأصر على أن يتزوجها.. فهو رجل يخشى الله ويعرف الطريق اليه جيدا .. ولم يدخله المعتقل الا اصراره على التـوبة ، واطلاق لحيتـه .. والآن هو ..

يوم أن زارته أمه بعد عام من الاعتقال .. قالت له بلهجة تأنيب .. مبروك جالك ولد .. فتحية وضعت ولدا .. وعلق شفتيه وابتسم .. وحزن هو ــ وبــكى داخل ضلوعه دون ان يرى أحد دموعه .. نثر الشكوك

فى أعماقه .. وراحت البـــذور تنمو وتكبر .. ولم يستطع ان يقول لفتحية كلمـة .. فقد كان مكبلا من الخارج والداخل .. وها هم اليوم أطلقـــوه .. هل يستطيع أحد أن يعيده الى مكانه فى نسيج الحيـاة ، كما كان .. ؟

لم يفطن من زحمة التفكير .. انه أصبح على باب الحارة .. أول من التقى به .. « حسونة المكوجى » .. صرخ هاتفا باســمه . ثم اندفع يحتضنه .. وتحلقت حوله الحارة برجالها ، ونسـائها .. وهتفت امرأة من النافذة .. تنادى على « فتحية » :

ـ جوزك رجع يا فتحية .. بنت يا فتحية .. جوزك رجع ..

وشعر انهم حملوه حتىباب البيت الذى تسكنه حماته .. كانت « فتحية » تقف وهى تعانى من لحظة أغرقتها فيها المشاعر .. ووجد نفسه يقتحم لحظة اللقاء .. يسقط من نفسه ، وتسقط نفسه منه .. امتلأ البيت عاد يفرغ .. يفرغ .. حتى لم يعد الا هو وهى . كان ينظر فى عين « فتحية » .. كمفتش لا كمشتاق ، كان يريد أن يضع يده على الاثم .. حتى عندما تمددت بجواره فى الليل .. مسح جسدها بنظـراته ، ودفن أنفه فى صدرها .. لعله يشم رائحة الاثم .. وظنت انه يقبل عليها بكل حرمانه .. فأقبلت عليه ، وانتشى من الرغبة التى تستنهض بها رغبته وتضـــاعفها ، وهم بأن يلقى بنفسه فى فيضانها المتدفق .. لكنه عجز .. قيدته الشكوك .. حاصرته القيود التى كانت .. وظن أنهـــا

زالت .. اطلقوه لكن بعد أن خربوه ، ودمروا أعظم ما كان فيه .. أصابوا فيه القدرة على ممارسة الحياة ..

فزعت .. أحيطت .. أحست انها صفعت برغباتها الملقاة فى وجهها .. لكنها خشت أن يبدو هـذا على ملامحها فيؤلمه .. فابتلعت أحاسيس الحنين وتركت مرارتها تعود الى عروقها ..

حاولت أن تحدثه عن أشياء كثيرة .. ألقت بنفسها فى بحر الذكريات .. تقلب بصوتها الرماد .. عساها تجد جمرة حب ما زالت مشتعلة .. لم تطفئها الشكوك ولا القيود .. لكنه كان يسمعها بعينيه .. انه يفحصها يريد أن يحللها تمنى لو ان هناك المعمل الذى يضعون فيه البشر .. فيقول هـذا خائن .. وذاك أمين .. ؟ وأدركت بمشاعر الانثى .. ان « ذكرها » مكدر الرغبة .. تفترش رجولته شكوك غير معلنة .. لم يكن من مصلحتها ان تناقشها .. أوحت اليها أنوثتها ان تتجاهلها وأن تغمره بعطف انثوى يكتسح الشكوك من نفسه ويقتلعها ..

وحاولت ، خيل لها أنها أعادت اليه رغبته الصفاء . الا انها هى الاخرى أحست بدبيب الشكوك .. أفزعها أن يتسلل اليها العقم العاطفى ، وان تجد نفسها عاجزة عن احتوائه .. فقد برزت فى كيانه العاطفى نتوءات .. جعلت احتواءه مستحيلا حولت الشكوك طعمه الى مرارة .. لا سبيل الى امتصاصها .. دون مناقشة .. وفجأة فتحت له الموضوع .. ورقدت علاقتهما جثة على المشرحة ـ وامسك هو بمبضع وامسكت هى بمبضع آخر .. يريدان استئصال الشكوك . ولم يفطن كلاهما الى ان

المريض الذى يحاولان انقاذه قد فارق الحياة ..

بعد أيام حدثت أمها بمخاوفها .. قالت انه يكتم فى اعماقه عملا ما .. سخرت الام من حديثها .. قالت لها انه طول عمره رجل بلا قرار ، وجاء الاعتقال فقضى على البقية الباقية منه .. انه انتهى من زمن هو الآن صورة فقط .. لم تكن الام تدرك ان هؤلاء الضعاف .. هم الذين يقدمون على الجريمة .. الرجل الضعيف دائما امام زوجته .. هو الذى يقتل .. لانه عاجز .. والقتل عجز لا قدرة .. القدرة فى مثل هذه المواقف .. هو ان يطلق وأن يقترن بزوجة جديدة ، وأن يبدأ حياة .. عليه فيها أن يحرث من جديد .. والعجزة لا يملكون كل هذه القدرات التى تجعلهم يقدمون على مثل هذه الاعمال .. لهذا ، وسترا لعجزهم يقتلون لانهم لا يملكون القدرة .. حتى على ترويض زوجة جديدة ..

والعجز الذى يرينه زوجاتهم .. هو الذى يغريهم بالاستهانة بهم .. مطمئنات الى العجز الذى أحيانا يصل الى حد البلاهة .. لكن .. لكن فجأة يستكملون ذلك العجز ، ويقتلون .. ثم يحاولون الانتحار بعده .. لكنهم يفشلون .. وان كانوا فى الواقع .. قد عبروا بقتل الزوجات عن الانتحار ..

وعليه فان « فتحية » كانت تنتظر الموت لكنها كانت تستبعده .. وتحاول أن تتحصن بالحب القديم ..تثيره داخل زوجها ..

فقد يكون محاميها لدى ضميره عندما يحاكمها ..

أما هو فكل يوم كان يدنيه من الجريمة .. فشل فى

أن يحطم الحاجز الذى يقوم بينه وبينها فى اعماله ..
وأيقن انه ضاع بسبب خيانة « فتحية » ..

فى الليلة السابعة لخروجه من المعتقل .. أعدت له طعام العشاء .. لكنه لم يتناوله .. جلست تستثيره .. مالت عليه تقبله فى عنقه .. وتناول وجههـــا فراح يقبلها فى كل مكان فيه .. ثم توقف عند عنقها .. فقبض عليه بأصابعه العشرة .. ثم ظل يضغط ، ويضغط .. وظنت إنه يداعبها .. ثم أيقنت أنه فقـد عقله .. ثم لم تعد تشعر .. أما هو فظل يضغط .. حتى سقطت عليه .. تركها تموت .. ثم اشعل سيجارة .. وذهب الى القسم فسلم نفسه ..

محبوب قتل أمه

لاذت الحارة بالصمت .. عراها الذهـــول .. رغم وجود المادة الشهية للثرثرة .. فقد قتل الولد «محبوب» والدته .. فماذا حدث « لمحبوب » .. ؟ لا أحد يدرى بالضبط على وجه التحديد .. لكن المؤكد ان « الولد » فى لحظة سقط فيها عقله .. أمام واقع فوق ادراكه .. فلا هذا تراجع ، ولا ذلك ســـايره فى أزمته .. هـكذا ذهبت « فواكه » الى غير رجعة .. !

وعندما أقبلت الشرطة .. وخرجت « بالولد » كان عارى الرأس .. تمزقت ملابسه المهلهلة ، ولونت بالدماء التى قيل انها من دماء والدته .. ولكن المهم النظرة التى التى كان يرسلها « الولد » أشبه ما تكون بنظرة أبله .. تجمد وعيه عند لحظة .. يعجزه أن يجتازها : ويعجزه ان يبقى أسيرها ..

منذ أعوام بعيدة .. جاء الاسطى « سيد » النجـار بزوجته الصغيرة « فواكه » من الريف . بعد ان فشل فى زوجتين سابقتين .. لم تحققا له انجاب الولد .. كان الرجل قد تجاوز الاربعين ، ولم تكن الفلاحة الصغيرة قد وصلت الى السابعة عشرة .. وقبل ان يمضى العام

كانت قد وضعت له « محبوب » ، ويومها لم تكن الدنيا تسع الرجل من الفرحة .. ولم يقدر لها أن تنجب بعده .. رغم المحاولات المكثفة..عند الاطباء ، وكتاب الاحجبة وأخيرا استسلما وركزا عنايتهما فى تربية « محبوب » .. وخشى عليه الاب من متاعب مهنته .. فدفع به الى الكتاب وكان مناه أن يراه شيخا معمما ..!

ولم يكد « محبوب » يتجاوز العاشرة من عمره .. حتى سقط الاسطى النجار فريســـة مرض طويل .. استهلك فيه كل ما كان يدخره .. ثم رحل عن الدنيا تاركا « فواكه » فى عز صباها ، و « محبـوب » غـلاما لم يتجاوز الثانية عشرة ..

ورفضت الارملة الحسناء أن تعود الى الريف .. فلم يكن لها من يعولها هناك ، وصممت على ان تعيش فى الحارة .. وان تكسب عيشـــــها من العمل فى بيوت القادرين ، ودفعت بابنها الى حانوت يعمل صاحبه فى مهنة النجارة .. حتى ترى « محبوب » بعـد ســنوات نجارا يواصل صناعة والده ..

فى أول الامر فزع « محبوب » لتصوره انه سوف يترك الكتاب ويترك « سيدنا » ويذهب الى «ورشة» ، ويستبدل « بسيدنا » الاسطى .. لكن والدته قالت له أنهما فى حاجة الى الاجر الذى سيدفعه له الاســطى أسبوعيا .. ولم يعد فى وسعها أن تدفع « لســيدنا » المعلوم كل يوم خميس .. وأعلن « سيدنا » انه متنازل عن « الخميس » .. لكن الحاجة كانت أقوى من الجميع، وذهب « محبوب » الى الورشة وقلبه الصغير يقطر دما .. فقد كانت آخر كلمات والده له .. أن يواظب على قراءة القران .

.. لكى يرحمه فى قبره من عذاب النار .. لكن « فواكه » فى كفاحها من أجل العيش لم تدرك ماذا يعتمل فى صدر الصغير ، ومن أين لها تدرك ، وهى تعمل فى قسيل القادرين من الصباح حتى بعد صلاة العصر .. ثم تعود مسرعة الى بيتها لتعد الطعام لها ، ولابنها الذى يعود منهكا من الورشة آخر اليوم .. !

خلال ذلك الصراع .. لم تنتبه الى شىء هام .. ان انوثتها تزداد اكتمالا ونضجا ، وان خروجها للعمل قد اكسب جسدها تناسقا ، وأضفى الاكل الشهى الذى كانت تتناوله فى بيوت الكبار .. عليها رواء لم يكن لها أيام المرحوم .. وان عشرات العيون تنهبها ، وقد تقدم اليها بعضهم يطلبها للزواج ولكنها رفضتهم ... لانهم جميعا كانوا أصحاب زوجات ، ولانها تريد أن تتفرغ لتربية « محبوب » الذى بدأ يتعلم المهنة .. لكنه لم يكن راضيا تماما عن هذا التغيير الذى أرادته له والدته ..

بين الحين والحين .. لا سيما فى الليالى التى كان يعود فيها منهكا من العمل ، ومن حمل الاخشاب ، ومن نشر الابواب والنوافذ .. كثيرا ما كان يقول لوالدته فى عتاب .. « الله يسامحك » .. اما كان يمكن أن أكون الآن قد ختمت المصحف .. ؟ وكانت « فواكه » تهون عليه الامر .. بأنه أوشك ان يصبح « أسطى » ، وان أجره الاسبوعى قد وصل الى ما يقرب من جنيهين فى الاسبوع .. !

وذات يوم دخل « محبوب » الحارة محمولا على كتفى زميلين له ، وهو يتوكأ عليهما ، وأدخلاه المنزل حتى استقر فى الغرفة التى كانت خالية من والدته ، وذهبت

احدى الجارات فنادتها ، وجاءت الام وقد أفزعها الخبر .. فقد سقطت قطعة خشب ثقيلة على ساقه واحدثت بها كسرا ، ووضعت قدمه فى « الجبس » .. وفى المساء جاء الاسطى « حنفى » صاحب الورشة .. لكى يطمئن عليه ..

والذين يدعون العلم ببواطن الامور .. يقولون ان المأساة بدأت منذ هذه الليلة .. فالاسطى « حنفى » .. كان من أصحاب الورش الذين بدأوا من الصفر ، وظل فى صراع دائم من أجل الوصول الى الرغيف .. ثم واصل الصراع الى أن أصبح من تجار الموبيليات المعروفين ، واستغرق ذلك سنوات شبابه مع زوجته التى أعطته نصف دستة من الاولاد والبنات ..ثم تحولت الى شىء يجده فى البيت كلما ذهب اليه .. مخلوقا اليفا .. مريضا دائما .. لا تكف عن الشجار أحيانا ..

وفوجىء الاسطى « حنفى » بجمال « فواكه » .. لقد كان فى ذهنه أنه سوف يرى أرملة عجفاء .. عمشاء .. تجاوزت الخمسين فاذا به أمام وجه لم تخط السنوات فيه خطا .. على جبينها أو على وجنتيها .. يفيض بالبياض ، ويختنق بالحمرة ، ونظرة من عينين مكحولتين بلا كحل .. ينام فيهما الحرمان ، وجسد يعلن فيه كل عضو استقلاله .. رغم الحماية التى يسبغها عليه الثوب الواسع .

ودارت رأس الاسطى « حنفى » وهو يجلس بجوار السرير الحديدى العتيق .. لكى يضع يده على جبهة « محبوب » يتحسس حرارته ، وهو يهون الامر عليه .. وعيناه تنفذان الى كل موضع من جسم المرأة ..

جلست تعد له الشاى ، والرجل لا يرفع بصره عنها الى حد أربكها ..

وشرب الاسطى الشـــــاى ، وقام يتأهب للخروج ، وقالت له « فواكه » فى رقة ونعومة تعلمتها من بيوت القادرين .. انها كانت تتمنى لو أنها استضافته على العشاء .. فضحك الاسطى « حنفى » وهو يقول .. ان هذا واجبه ، وسوف يحدث غدا .. لان الطبيب أوصى بأن يطعم « محبوب » أطعمة دسمة لكى تختصر أيام العلاج ، وحتى يلتئم الـكسر البسيط الـذى فى قدمه ..

وقبل أن يغادر الغرفة أخرج حافظة نقوده ، ودفع الى « محبوب » بورقة من ذات الخمسة جنيهات .. لكن « محبوب » رفض فهو لم يعمل سوى يوم واحـــد من الجمعة الجديدة ، ولكن الاسطى « حنفى » أقسم بالايمان المغلظة .. ثم دس الورقة فى يد « فواكه » وبات ليلته يحمد اصابعه .. وهى تأخذ بيديها الغضتين .

وتوالت الزيارات ، وتوطدت العلاقات .. ولم تعـد تخرج للغسيل فى بيوت القـــادرين .. فان ما يدفعه « حنفى » من أجر لـ « محبوب » أصبح يغطى المصروفات ويفيض .. وتحامل « محبوب » على نفسه وعاد الى العمل لكى يقطع على الاسطى « حنفى » الطـريق .. ولكن ..

لم يعد « حنفى » بقادر على الاستغناء على الذهاب الى بيت « فواكه » كل يوم فهو فى الظهر يتناول الغداء، وفى الليل يتناول العشاء ، وعلى « محبوب » أن يتسلم

مفاتيح الورشة .. فهو الذي يغلقها أخر الليل ، وهو الذي يفتحها أول النهار ، وهو الذى يحاسب العمال ، وبدأ العمال يتفامزون .. ولكن « محبوب » لم يكن فى حاجة الى غمزاتهم .. كان واعيا بما يدور حوله بأكثر مما يلزم ..

ففى أعماقه ان أمه حالت بينه وبين حفظ القرآن ، وكانت وصية والده له ولها فلم تعمل بها .. وانها ألقت به في محيط لا يفهمهم ولا يفهمونه ، ولا يحبهم ولا يحبونه .. وأنها ، وهذا هو الانكى والامر .. فتحت صدرها « لحنفى » وشجعته على الانفاق عليهما ، ببذخ ، وانها لكى تسد عليه الطريق .. حدثته فى أن تزوجه من ابنة الاسطى « حنفى » التى لم تتجاوز الرابعة عشرة ..

انه ليس غافلا عما يدور حوله .. بل انه يحس به احساسا مضاعفا يزيد من عذابه ، ويجعله يحول بعض الاوهام الى حقائق .. تسد عليه الطريق الى التفكير السليم .. وكثيرا ما امتلأت نفسه بالغضب وحصد فى صدره كل عوامل الثورة عليها .. لكى يحدثها فى ذلك ويلقى بين يديها بما يحسه .. لكنه كان يفقد شجاعته بمجرد أن يجلس اليها ..

وحاول أن يستجمع بعضه ، وان يقف داخل نفسه منتصبا .. ليواجه « حنفى » وليقول له أنه لا داعى لأن يزوره فى البيت .. لكنه كان يرتجف كلما واجهه ، ويصرخ فيه « حنفى » أن يتكلم .. لكن لسانه يتحرك دون صوت .. وأخيرا ينهره « حنفى » طالبا منه أن يغرب عن وجهه هذه الساعة .. أو يأمره بأن يحمل اللحم

والخضر الى والدته ، ليعلنها بأن الاسطى « حنفى » قادم للغداء ..

أخيرا كانت جالسة صباح الاحد .. تتهيأ لاستقبال « حنفى » .. واستيقظ هو من النوم لكى يغتسل ويغير ملابسه .. وكانت تجلس وظهرها اليه تعد له الشاى .. وكانت فى كامل زينتها رغم ان حنفى « لن يصل قبل الظهر .. ووقعت عينيه على المقص الكبير كان مطروحا بجواره .. مد يده .. تحسسه ـ أمسك به ، وعنقها مكشوف أمامه .. وتمطى الى آخر ذراعه .. ثم اعتدل فوقف .. ثم هوى به وسط عنقها تماما .. انهال به على بقية عنقها ، وصدرها وبطنها ..

استلقت تنزف من عدة مواضع .. وتطلق صرخات مجنونة توقفت فجأة .. وحينما أقبل الجيران .. كان يحتضنها ، وهو يصرخ ويبكى ..

وجاءت الشرطة .. ولف الحارة ذهول .. عقد السنة أهلها عن الكلام .. على غير العادة .. !!

الـرجـل الآخـر

كل شيء حول الجاني ، والمجني عليها .. كان يصاغ باحكام .. ليس لها هناك أى خلط أو عشوائية .. فمنذ عام ١٩٦٩ ، والاحداث تتلاقى ، وتتلاحم .. حتى تجيء النهاية .. بعد العديد من الاحداث الصغيرة ، التى شاركت فى صنعها المجنى عليها . بقدر لا يقل عن دور الجانى .. تجيء مفزعة كالزلزال .. فاذا بالزوجين السعيدين . عاشق قاتل . وقتيلة أصرت على رفض المعاشرة الزوجية .. !

عقب يوم كله « جرى » خلف لقمة العيش .. كانت حياته كلها « جريا » بل قفزا خلف لقمة العيش .. فى « الترموايات » ، و « الاتوبيسات » يبيع « الاقلام » ، و « بنس الشعر » ، و « حجارة الولاعات » .. جلس يشرب الشاى عند آخر خط العباسية .. لفتت نظره .. طريقة مشيتها .. اعجب بجمالها .. نظراتها التى تبعثرها على المعجبين .. ولم يملك الا ان يقول لها بعينيه .. أنا معجب .. وردت بعينيها أيضا أنها مقدرة هذا الاعجاب وتوقف كل شيء ... فاكتفى بذلك ..

لاثناء العمل في البـ. يركب « مترو » مصر الجـديدة بعد أيام .. فاذا بها جالسة .. غمـز الكمسارى الا يحصل منها الاجرة .. تنبهت اليه .. شكرته انفتح باب الحديث .. هبطا معا .. جلسا في حديقة عامة .. قالت له انها زوجة لقريب لها ، ولكنها على خلاف معه ولولا ابنتها منه ماتحملته .. وهى تعمل فى مساعدة شقيقتها عند احدى الاسر .. وتكرر اللقاء ، وقال لها ليتهـا تعجل فى طلب الطلاق .. لكنها قالت له ان زوجهـا لا يريد .. ولكن الهوى استبد بها وبه .. وفكرت فى طريقه ترغم زوجها على الطـلاق .. اختفت عنده .. اخذها الى غرفته التى كانت فى « بولاق الدكرور » .. وأرسلت من مخبئها .. تملى شروطها ، وجعلت الطلاق ثمنا لظهورها .. واجتمع أهلها عليه فطلقها .. وتزوجت « باسماعيل » ..

الشكوك

واحس كلاهما بلذة الانتصار .. وحينما كانت تأوى الى أحضانه .. تنهمر دموعها .. تشكو فى حرارة من المعاناة القديمة ، وتتوسل اليه الا يتركها .. فقد بدأت أيامها يوم أن تزوجته .. اما زواجهـا ، وانجابها من قريبها كل ذلك كان اكراها لها على ممارسة حياة .. لم يسكتها عليها الا الامل فى الخلاص منها ..

ومضى العـام ، وانجبت منه « طفلة » .. وفرح « اسماعيل » وضاعف من جـولاته ليضيف الى كسبه جديدا .. لكن « عطيات » فاجاته « بانها عادت الى العمل عند احدى الاسر فى مصر الجديدة ، وغضب وأعلن غضبه

مهددا بأنه اذا لم تقلع عن العمل . . هنـــا
فورا . . وامتنعت عن العمل بعد شهر واحد . . استجابة لرغبته فى أن تكون تحت رقابته ، وتسقط حجتهـــا فى الخروج والعودة كما تشاء . . وصاحت فيه . . أن معنى ذلك أنك تشك فى اخلاصى لك . . ؟ وأسرع يقسم بــكل الايمان . . أنه لايشك ، ولكنه فقط يحبها ، ولا يريد أن يشعر أنها تتعب ، وتكد وتشقى وهو على قيد الحياة . . !

وحفزه ذلك الى التفـــكير فى الاسلوب الذى يعيش به . . « عطيات » يجب أن تحيا حياة أخرى . . ولمعت فى رأسه فكرة . . لابد أن يسافر الى « السعودية » . . عشرات العمال يستعدون للسفر فى موسم « العمرة » . . وأسرع يبحث عن الطريق الذى يبدؤه لــكى يصل الى هدفه ، ولم يكن ذلك عسيرا ، وزف اليها بشرى الخروج من هذه الحياة الضيقة . . الى الانفتاح على العــوالم الاوسع . . وحينما شاهدت تذكرة الطائرة فى يده . . أطلقت « زغرودة » فقد جاءت الدنيا تخطب ود«اسماعيل» ووقف يودعها . . لم يطلب منها سوى أن تعمل على تنفيذ رغبته . . لا عمل فى البيوت على الاطلاق بعد شهر واحد يصلها مائة جنيه . . ان لم يكن قبل انقضاء الشهر . . انها من الآن سيدة زوجها فى « السعودية » يجب أن تــكون جديرة بهذا اللقب . . ومن العار أن تعمل فى أى بيت مهما كان الاجر . . . كل شهر سوف يرسل لهـــا مائة جنيه . .

وكان صادقا فوفى بوعده ، وقبل ان يمضى الشـــهر وصلتها مائة جنيه . . لكن ذلك لم يمنعها من ان تستجيب

لاغراء العمل فى البيوت .. زوجهـــا ليس موجودا فى القاهرة ، وطفلتها يمكن أن تتركها عند والدتها .. والعمل فى البيوت كله مكسب .. فلماذا تتركه .. ؟ وعادت الى العمل ..؟ ووصل هو بعد خمسة أشهر .. عاد ومعه بعض ماكان يحلم به .. النقود والمسجل ، والتليفزيون ، وبعض الملابس .. وتذكرة عودة الى السعودية مرة أخرى .. وسألها اذا كانت محافظة على رغبته .. فأقسمت .. لكنه لسوء حظها التقى بكمسارى كان يعرفه فى « المترو » .. فقال له كان يرى « عطيات » كثيرا ولا يحصل منهــا الاجرة من أجله ولما سألها قالت انها ذهبت مــرة أو مرتين لتسأل عن شقيقتها هناك .. وصدق لانه يريد أن يصدق ..!!

كاذبة فقط

وحينما كان يستعد للسفر عائدا الى الســعودية .. ركبه الهم ، وارتفعت عصبيته ، وظل أياما متوترا .. ثم عرض عليها أن تسافر معه .. حملقت فيه تسأله . لماذا ركبت رأسه فجأة هذه الفكرة .. ؟ لماذا لم يعرض عليها هذا منذ أن حضر .. ؟ لن توافق أو ترفض الا اذا عرفت السبب .. ؟

وزاغ بصره ، وضاعت منه شجاعته وتلعثم لسانه ، واشرك يديه فى الشرح ، ولكنه لم يستطع ان يقول لها انه خائف عليها ، وانه يشك فى حفظها لغيبته .. ولهذا السبب وحده . يريد أن يأخذها معه .. ولم يستطع ان يفصح ، وادركت هى ما حاول أن يخفيه .. فرفضت فكرة السفر معه ، وارجأت ذلك الى المستقبل ..

وأسرع يسافر ، ولكن أعماقه غير راضية ، كان يجب أن يصر على ان تصحبه .. لماذا تراجع .. ؟ وترك لهـا الحبل على الغارب .. لكن لماذا كل هذا العذاب .. ؟ هل يشك فيها .. ؟ وهـل راى أو سمع ما يؤيد هـذا الشك .. ؟

الواقع انه ليس فى الامر سوى انها كاذبة .. اقسمت انها لم تعمل طوال مدة غيـابه ، وعرف من اكثر من كمسارى انها كانت تعمل .. وعلى كل فالعمل فى ذاته ليس عيبا ، وانما العيب والعـار أيضـا ... فى المسائل الجانبية التى يمكن أن تواكب العمل .. فهو يتطلب الخروج ، والخـروج يولد الاحتكاك والاحتكاك يولد التعارف .. الم تكن زوجة حينما تعرف بها ، وكانت تعمل .. !!

اذن فهذا هو موطن الداء فى جوانحه .. ان القصـة التى كان بطلها يوما ما .. يمكن أن تجرى أحداثها مرة اخرى .. وبأسلوب قد يختلف أو يتفق .. لكن من المؤكد انه لن يكون البطل .. وانما سيكون الزوج الذى يرغم على الطلاق .. وهى الآن تعيش الظروف الحسنة التى تمكنها من املاء رأيهـا ، وتملك من « النقود » ما تـكيف به حياتها .. ؟

وحاصرته هذه الافكار تنهشه صباح مساء .. ورانت على أيامه فى غربته مظلة من التعاسة .. صبغت كل شيء فى حياته بالمرارة حتى الماء ... وفى كل خطاب يـكتبه اليها .. يحذرها من العمل ، ويرجوها الا تكثر من الخروج من المنزل ..

الدليل الاخير

ولم يتمكن من العودة الا بعد عام كامل .. ووجدها وقد وضعت خلال العام ولدا .. وتوسل اليها أن تسافر معه هذه المرة ، وسافرت ، ورغم كل المغريات التى قدمها لها هناك .. الا أنها أصرت على العودة ، وعادت لتعيش هنا ، على أن يتردد هو بينها وبين السعودية .

ومضت خمس سنوات .. وهو يتعذب دون أن يفصح .. لكن السفر لم يشفه من دائه .. بظل فى شكوك ، وظنون تصل الى حد اليقــــين .. فاذا ما وصل الى القاهرة ، والتقى بها .. غرقت كلها فى بحر اللقاء ، وبقى الفترة التى يعيشها وهي غالبا بضعة اشهر .. فى عراك مستمر ، ونزاع متواصل .. لكنه لا يجرؤ على اتهامها بما يحسه .. حتى بعد أن قبض على دليل يدعم ظنــــونه السيئة فيها .. وكان « جهاز تسجيل » أعلنت انه سرق من الشقة التى أجروها فى شارع « جسر السويس » ، وذهب الى القسم وابلغ متهما أحد الجيران .. ثم ضبط هذا الجهاز عند مطلقها بعد شهور ، وعرف انها أهدته اليه .. وما كاد يلمح انه كذا ـ وكذا حتى هبت فيه صارخة ان يطلقها فورا .. اذا كان لديه ذرة من الشك فى انها تخونه ماديا أو معنويا .. وأسقط فى يده ..

كان ذلك أول هذا العام ، وحتى يقطع العرق ولا يكون هناك مجال للشكوك اتفقا على ان تسافر معه ، واشترى لها تذكرة ، وحصل على تأشيرة ، وحجز على طائرة تغادر القاهرة بعد أيام .. وبعـــد ان ذهبت معـــه الى المطار .. اختفت قبل قيام الطائرة بساعة واحدة ..

وسافر وحده الى « جدة » .. فلما أرسل يسألها عن السبب .. جاءه الخطاب الذى تقول له فيه .. اذا كنت رجلا طلقنى ..

وقعت الكارثة التى يحاول أن يتفاداها .. والذى يجعلها أشد ايلاما .. انها تريد الطلاق .. لكى تعود الى طليقها الذى لعب هو معه نفس الدور من عشر سنوات .. !!

واحس على بعد آلاف الاميال .. بمرارة كأس الهزيمة .. لن يكون ذلك أبدا .. ماذا نقص منى لكى ترفضنى .. بل على العكس يومها كنت فقيرا معدما ، واختارتنى .. واليوم ماذا زاد فيه لكى تعود اليه .. ؟

لن أتيح لها هذه الفرصة حتى لو كان الثمن هو حياتى .. لن اتركك « يا عطيات » .. لست مثله .. أقبل عن طيب خاطر .. أن ترفضنى انثاى لتذهب الى رجل آخر .. !!

وترك كل شىء خلفه فى السعودية ، وجاء هذا الشهر فوجدها فى بيت أمها .. حاول أن يعيدها فادعت انها غاضبة وانها لا تريد الحياة معه .. وانه يجب عليه أن يطلقها فورا .. لانها تريد العودة الى مطلقها ..

كان هذا الحوار على مشهد من بعض أقاربها ، واتجهت عيونهم اليه .. يستنفرون رجولته .. لماذا يتمسك بها .. كل شىء قسمة ونصيب .. طلقها ما دامت هى طلبت ذلك .. !!

كلهم كانوا لا يشعرون بما يعتمل فى كيانه .. فقد كان حبه لها حبا مرضيا .. حوله فى النهاية الى عاشق .. تشتعل فى صدره جذوة الحقد على المرأة التى ظن انه

امتلكها .. فاذا بهـــا هى التى ملكته .. ثم ركلته ..
وها هى الآن تريد بعد أن حصلت على جهده خــــلال
سنوات خمس فى السعودية .. ان تعود الى طليقها ..
وهان فى نظره كل شيء .. لن يتركها ، ولن يترك نفسه..
لا بريد أن يعيش يوما بدونها .. ولكن قبل أن يموت ..
يجب أن تموت هى .. ولمح بجواره « سكينا » .. فجأة
قبض عليها وهاجمها بغتة .. فذعر الذين من حولها ..
واتجه نحوها .. فاســــتدارت تولى هاربة .. ولكنه
أدركها .. انغرست « السكين » فى عنقها .. وانفجرت
الدماء .. وهرب هو الى الشرطة .. !!

رجـل مـن زجـاج

كل أخلاقه كانت هكذا .. كل نظراته الى نفسه .. كان يرى أعماقه كأنه ينظر الى ذاته من خلف زجاج لامع .. طالما تصور نفسه .. جسد انسان .. تالف .. سقطت كل دهنياته .. حتى صار جلدا وعظاما فقط . يقف فى صحراء واسعة يستغيث وقد رفع ذراعين نحيلتين تساقطت عضلاتهما . . يستغيث ممن ؟ ويستغيث بمن ..؟ هذا هو ما لا يدريه لكن هذه هى الصورة التى كان يرى نفسه عليها سواء فى اليقظة أو فى الحلم .. !!

حقائقه على مدى أيامه .. تمتزج بخيالاته المفرطة فى الخيال .. المتناهية فى الحلم .. لو لم يكن أهلا للوعظ ، والعلم لكان رساما بلا نظير .. فقد كان يرى نفسه الانسان الوحيد الذى يحيا على وجه الارض حياتين فى وقت واحد .. الحلم واليقظة .. !!

منذ لحظة اخترقته حالة فريدة .. ومضة باهرة الضوء .. سطعت بين جوانحه كلحظة صدق ... أو قطرة ندى فى لحظة سحر تتدحرج على ساق زهرة لتختلط بجذورها بعد أن ذبلت أوراقها .. بددت الاضواء

المتفجرة ظلمات حناياه .. فرأى نفسه عاريا .. حتى من ورقة التوت .. وبدت له سوءات عمره !

هو على يقين من حجم الاثام التى يرتكبها موقن من الهوة التى تردى فيها لن يحمل زوجته ذنوبه .. فليس جرمهما على قدم المساواة .. نعم هى تركته مع الاولاد الثلاثة الكبار وأخذت الطفل الرضيع .. بعد سنوات حافلة بالآلام ، والمعاناة ، والصبر على المواجع لكن فى آخر الامر أدركه ، وأدركها الملل ، كان حجم يأسها منه.. فى حجم يأسه منها ، وقد تراجع اصرارهما عن المضى فى الحياة الزوجية .. ذات يوم وجد نفسه مفلسا من كل رغبة فى معاشرتها أما هى ففضلت الاختناق فى بيت شقيقها على البقاء يوما واحدا فى بيت الزوجية .. ان تهمته الثابتة فى وجدانها .. هى انه مشطور الشخصية يبدو للناس كملاك حريص على كل المثل ، وخلف هذه الواجهة الناصعة البياض ، يتمرغ فى أوحال قذرة ويمارس أحط أنواع الآثام ، ولا يتورع أن تصل أخبار حماقاته اليها ، وهى أسيرة قيود الزوجية .. ترسف فى أغلال ابنتها الكبرى ، والولد الذى يليها .. ثم الطفل الصغير .. تأمل أن يثوب الى رشده يوما ما .. الا أن هذا الامل لا يريد ان يتحقق وقد عدا عليه اليأس ، وخنقته السيئات المتكررة الوقوع منه .. !!

وحتى يسيطر على نفسه .. حتى يستطيع أن يقيم موازنة بين ما هو ممكن ، وبين ما يجب ، وبين ما يمكن أن يكون .. امسك بقلم وراح يكتب على الورقة أمامه .

ماذا يجعلنى اندفع وراء المغامرات التى ترهق وجدانى وتثقل ضميرى وتجعلنى أفقد الانسجام بينى وبين نفسى

.. هل يقع ذلك دون وعى منى ؟ .. أم ان ذلك يحدث رغم أنفى كانتقام من زوجتى لانها خيبت أحلامى .. ؟ لكن ما ذنبها هى اننى وحدى الذى ارتكبت هذه الجريمة ضد ذاتى !

أذكر اننى حينما كنت فى طور المراهقـــة . أعجبت بسيدة متزوجة .. عشقتها فى خيالى كانت لها سمات معينة ، وأنف شامخ وجبين تلمقه خصلات شعر شرس وظلت هذه الصورة تعذب خيالى ، وأقيس من خلالهـــا جمال كل امرأة أراها — حتى لقيت زوجتى — فخيل لى أنها تحمل هذه الملامح .. تقدمت اليها .. تزوجتها قيل لى انها مطلقة .. فقبلت فى اللحظات الاخيرة أدركت اننى ضحية خيالاتى .. وان رغبتى زيفت على الحقائق وانه ليس فى المرأة التى تزوجتها أية سمات من المطلوبة لكن التراجع كان قد أصـــبح جريمة .. وأقدمت أبنى مستقبلى العاطفى والاجتماعى .. على ظنون لا أمل فى تحقيقها .. !

هل كنت ضحية عقلى الباطن ، وسيطرته فى لحظات الضعف على عقلى الواعى .. ؟

ممكن . لم يعد بيننا تفاهم ، وشرد الود ولم يعد فى بيتنا سوى رغبة ملولة فى دحرجة الانفجار من يوم الى يوم .. كنت أنشد لديها كل شيء ، ولم يكن لديها أى شيء .. فقد أعطت الرجل الذى طلقها كل شيء .. ثم عدا عليها فدمرها وجاءتنى خاوية الوفاض . فارغة الوعاء تريد عطفـــا وحنـانا ، وانا ابحث عنهما . . كنا كظمآنين يتسابقان الى كوب فارغ .. !

بدأ الصدام بيننا .. يعززه موقف والدها الاقتصـــادى

المتميز .. فرضوا على الاحتواء احسست انهم يقيدونني بقيود من حرير حتى السكن اختاروه لي في عمارة لوالدها بدأت الحلقة تزداد ضيقا .. أتخبط والطوق في عنقي .. لم يكن أمامي الا ان ابتكر وسـيلة للهرب .. تتناسب وامكاناتي شرعت في استكمال دراساتي العليا .. مستهدفا تحدى النطاق المضروب حولي والحصول في النهاية على اجازة علمية تبيح لي تبوأ المركز الممتـاز ، وترفع من اقتصادياتي لأكون على قدم المساواة .. مع هؤلاء الذين يريدون أن يزجوا بي داخلهم .. لـكن حجمي اذا كبر فسوف لا يسـهل عليهم ابتلاعي ، وقد انحشر في حلوقهم .. !!

وضع القلم وقرأ السطور التي كتبها فوجدها تفيض انانية ، وتفيض « نرجسية » فهو لا يتكلم الا عن نفسه .. وهو يتمنى أن يتحدث عنهم .. هؤلاء الذين يشعر انهم كانوا يعملون ضده بشكل منظم .. !

تدفق الرزق عليه .. القت الدنيا بنفسها تحت قدميه .. اصبح قادرا على أن يتركها ، ويتركهم .. لو انه ادار ظهره لهـا ما امسك به أحد .. لكن هنـاك بينه وبينها الاكباد التي تمشي على الارض .. وبين الرغبة في الخلاص منها ، والحفاظ على مصلحة الابناء كان لابد أن تتوزع اعماقه ، وتتوزع شخصيته .. فيختلط ظاهره بباطنه .. يمضي مع الرغبات المكبوتة رغم رفضه لها . محـاولا ان يسبغ عليها مشروعية يرضى بها نفسه قبل أن يرضى الناس .. فهو يؤكد لنفسه كل لحظة ان علاقاته مع الآخرين .. هي حصن الامان الوحيد لكي يظـل البيت متماسكا ،

وكانت هي ترى انها على يقين من أن مقاومتها سوف تنفد يوما ما وشيك الوقوع ما دام لا يريد أن يقلع عن حماقاته .. ابنته الكبرى تحاصره .. هي التي تضغط عليه ليعيد والدتها الى البيت . انه لا يدري هل يقف مكانه ، ويجمد الموقف ؟! أم يخطو خطوة فيعيد زوجته .. ؟ أو يتزوج من غيرها ؟ وأين الخطـــأ وأين الصواب ؟ في هذه الافتراضات .. والسؤال الاخير وضعه أمام حقـــائق كثيرة كان يتناساها .. !

فالطاقة النفسية والعصبية التي استنفدها : حصوله على مركزه العلمي .. قد استهلكه تماما جعله يشعر انه تجاوز السبعين رغم انه ما زال في الثالثة والاربعين .. لـكنه يرى أن أي محاولة للزواج سوف تعذبه ، وتضيف الى آلامه الاما جديدة ذات شعب ..

أمام كل هذه المحاذير .. أحس انه مقضي عليـــــه بالفشل في أي محاولة يبذلها .. الا ان يعيد زوجته مهما كان الثمن الذي سيبذله من أعصابه .. ولما كان لا يريد تنفيذ هذه الرغبة .. لانه لا يستطيع ان يتصور عودته اليها أو عودتها اليه .. ليس امامه الا ان ينال من اللذات التي تعرض له .. كل ما يرضي حرمانه الكامن في أعماقه .. وهو سعيد الآن لكن مايطمس سعادته في القمة .. شعوره بأنه في صراع دائم ويقينه أن تهافت النسوة سوف ينتهي من حوله قريبا ان عاجلا أو آجلا . بل سوف يصبح عليه أن يبذل الكثير لكي ينال القليل .. عكس مايحدث له الآن .. !!

انه يدرك دون ارشاد .. اى انزلاق سقطت فيه حياته

.. لكن ماذا يفعل ..؟ وكـــل الطـرق الى حل سليم لمشكلته .. مغلقة فى وجهه .. يخشى اذا عادت زوجته.. فكأنه لف حبل المشنقة حول عنقه بيديه من جديد فليس فى أعماقه ذرة حب لها .. حقيقة يحمل لها أيادى بيضاء كثيرة .. وشفقة عظيمة لانها تعبت وهى تلد وترضع اولاده وبعض الجميل لانها سهرت بجوار سريره حينما مرض بالحمى .. لـــكن الحب الذى يجعله يتمسك بها . غير موجود فى حناياه على الاطلاق ، وأهم من هذا كله .. هؤلاء الاولاد أنهم اذا كانوا يسكتون اليوم على مايرونه ففى الغد لن يسكتوا .. سوف ينعكس عليهم بشكل أو بآخر .. الولد الكبير . البنت التى بدأت تصل الرابعـة عشرة . مسألة مخيفة أن يفكر فى هذا !

أشعل سيجارته .. ثم قام من مكانه .. كأنه ينحدر من قمة .. ارتدى ملابســـه على عجل اتجه الى بيت صهره فى استسلام كان يشعر انه لم يعد هناك اى حل سوى أن يعيدها الى البيت .. اقتنع بكل ذرة يقين فى مخه .. انه لن يسعد الاولاد الا هى .. اما هو فقد أصبح فوق أن يسعد أو يشقى .. !

صالح نفســـه على أنه أخذ من الدنيا ما يريد المركز العلمى . الاجتمـــاعى . الاولاد . الملذات المباح منها والممنوع .. !

ذهب الى بيت شقيق زوجته .. فوجىء بأنهـا تضع لعودتها الشروط والبنود .. وتصر على أن تنفذ بعضها قبل أن تعود الى بيتها .. !

افزعه أن تقف منه هذا الموقف .. وهو الذى سـعى

اليها ، ومشي فوق كل كرامة كانت تقف فى طريقه ..
احس بكل التنازلات تعود اليه مرتدة تطالبه بالثأر لها ،
ودون أن يشعر وجد يده تمتد الى مسدسه .. وأحست
هي فهربت من أمامه .. الا انه تعقبها ، وأطلق عليهـــا
الرصاص .. وأخطأتها الاولى ولكن الثانية استقرت فى
كتفها ولم ينكر لكنه أيضا لم يعترف .. فقد كان يريدها
أن تعود الى بيتها ..

المـــزيـــف

اعتدت ان أجد المتهم يتظـــاهر بالشجاعة ويتصنع اللامبالاة .. حتى يوهم البعض بأنه على ثقة من براءته .. أو خلو ذهنه من التهمة الموجهة اليه .. أما « حسونة » المتهم بالتزييف ، فقد حاول ان يلغى فى خاطرى .. انه يرتجف ، وانه يرتعش ، وانه يكاد يطير شعاعا من الفزع .. لا لأنه برىء ، ولكن لانه لم يكن يتوقع ان يسقط فى ايدى رجال مكافحة التزييف ، وعلى حد تعبيره كان شريكه قد سلبه ذاته طوال عامين كاملين استغله فيهما فى أعمال التزييف ، ولم يشعر انه عاد الى نفسه أو عادت اليه .. الا وهو يرى رجال « المكتب » يقبضون عليه ..

وقد يكون صـــادقا فى ادعائه أو كاذبا .. فذلك ما ستكشف عنه التحقيقات التى تجريها النيابة .. اما الذى يعنينا هنا .. هو كيف بدأ « حسونة » حياته .. ؟ وما هى العوامل التى ساقته فى طريق التزييف .. ؟ وكيف واجه اللحظة التى ادرك انه لا عودة الى الطريق السوى .. ؟

فى اول الامر .. سألنى ، وهو يتكلم كدبلوماسى لا كمتهم

. .اذا كنت من المحققين أم لا . . ؟ فقلت له انني لن أخدعه كانســـــان مثقف ، فأنا « صحفي » جئت لتأدية واجبي . . وأجاب بعد تردد . . كان يقرأ « المصور » ، ويتابع تحليلاتي للقتلة فقد كان يشعر باحساس غامض . . انه سوف يكون ضــــــيفا على هذه الصفحة لكنه لا يستطيع ان يقتل دجاجة . . الا هذا الشعور . . كان يدوي في أعماقه لاسيما في الايام الاخيرة . .

وأحسست أنه يشــهر على ذكاءه ليجتذبني الى صفه . . يصطادني بنفس السلاح الذى كنت أنوى اصطياده به . . وبدأ يؤكد لي أن الصحف اليومية ظلمته حينما أطلقت عليه صفة الزعامة للمصـــابة . . فهو في حقيقة الامر ضحية « مدرس الرياضيات » . . الذى أغراه وسهل له ، وبسط الأمور أمامه لاستغلال موهبته الخاصة في التزييف . يريد أن يرسب في ذهني . . انه ليس ثابت الاعصاب ، ولا قوى الجنـــان . . حتى يوهمني أنه ليس الزعيم أو المتهم الاول . .

ومرة أخرى قلت له . . انني أريده أن يحدثني عن حياته كانســـــان . . كيف نشأ . . ؟ وأين تلقى علومه الاولى . . ؟ وماذا اكتنف سنوات مراهقته . . ؟ وكيف اكتشف موهبته ؟ . . ومتى كان حبه الاول ، وكيف كان حبه الاخير . .؟ وله مطلق الخيار في أن يحدثني عـــن الجريمة أو لايحدثني . .؟

وشاع الاطمئنان في ملامحه الوسيمة . . لـكنه اسرع في حرص حذر يقول . . انه يتمنى ان يعفى من الحديث عن الموهبة لان ذلك قد يؤكد ضده الجريمة . . وهو يريد أن يحيط نفسه بكل ضمانات الدفاع ، ويرجوني الا أكون

كبقية الزملاء فأتهمه بزعامة عصابة التزييف .. التى هو ضحيتها .. وليس زعيمها .. كنت كمن يروض ثورا هائجا ، وكلما خيل لى انه استسلم .. عاد يملأ الحلبة هياجا ، ويستحضر كل قوته ، ويشرع رأسه لكى يأخذنى على غرة .. ومع ذلك فهو يبتسم فى مرارة .. يرسل كلماته منمقة ، ويختار عباراته التى توشى بقراءاته العديدة وثقافته العالية .. فهو أديب ؛ وشاعر ، وقارىء ، مارس كتابة القصة القصيرة ، وكتب مسرحيتين كلتاهمـا من فصل واحد ..

واحدى المسرحيات باسم « المحاكمة » وفيها يناقش فلسفة الجريمة والعقاب ، وبطلها رجل ارتكب جريمة ما .. ثم عوقب عليها فى حياته بالسجن والغرامة .. فلما مات فوجىء بأن ملائكة الحساب .. أقبلوا يحاسبونه من جديد عليها .. ويستنكر هو ان يحاسب أو يعاقب مرتين على جريمة واحدة .. والملائكة يرفضون الاعتراف بعقاب مجتمع الدنيا ، ويصرون على عقابه على نفس الجريمة ، ولكنه يصر على موقفه من أنه سوف يظلم اذا عوقب مرتان على الجريمة الواحدة .. فى دار كان يظن انها العـدالة المطلقة ..

هكذا لخص فكرة المسرحية التى يقول انه كتبها ، وهو فى السنة الاخيرة بالمدارس الثانوية .. وكنت طـوال الوقت مصغيا .. حتى لا أقطع استرســاله ، وتداعى الخواطر عنده واستقل هو الصمت فراح يســتعرض قراءاته ، وزعم انه حضر أكثر من ندوة للمرحوم العقاد من ندوات يوم الجمعة ..

وحتى أعيده الى صلب الحديث قلت له : هل فقدت احد الوالدين صغيرا .. ؟

نفي ذلك ، وبدأ يقرر انه حتى وهو على أبواب الجامعة في الاسكندرية الولد المدلل لوالديه .. دون اخوته الاربعة .. وأنه كان متفوقا في الدراسة ، وأن والده ظل يشغل منصب مدير شركة من شركات القطاع العام حتى أحيل الى المعاش .. وقد حصل على ليســـــانس الحقوق من جامعة عين شمس عام ١٩٧٠ بعد أن رسب مرتين في الكلية ، وفوجيء بالرسوب في السنة الاخيرة .. وهو الذي كان طول دراسته متفـــوقا .. فتركت سنوات الرســوب آثارها في نفسه .. وجعلته يقرر الا يعمــــل بالمحاماه ..

لكن لماذا تركت الاسكندرية وجئت الى القاهرة .. ؟

ـ لان والدي نقل من هناك الى القاهرة ، ولاحظت أن مكانتي اهتزت في البيت بعد التخرج .. الكل يريد مني أن أعمل ، وان أعول نفسي .. كان يجب أن تسألني عن أسباب رسوبي ؟

.. ذلك لاني كنت مستغرقا في الرسم ، والشـــعر والموسيقى والـكتابة .. لـكن الموهبة التي أخـذتني هي الرسم .. لا يستغرق مني رسم الوجه في لوحة أكثر من دقائق ..

أمام الاحباطات التي أصابتني على التوالي ، وفي تتابع أحسست به يسحق أعماقي .. صممت الا أعمل في مصر ، ورحت أبحث عن جهة في وسعها أن تجيئني بعقد يكفل لي العمل في الخارج .. وقيل لي ان أحد أصحاب مكاتب السفريات في وسعه أن يحقق لي رغبتي .. وكان هو « مدرس الرياضيات » هـذا .. وحصـــل مني على اربعمائة جنيه في مقابل العقد ، والسفر .. وطلب مني

« الباسبور » ، واصطدمت بأنه لابد من شهادة اعفاء من الجيش أو تأدية الخدمة .. واسقط فى يدى ..

وصمت .. فقلت له ثم ماذا .. ؟

قال : لقد اتفقنا على الا نتكلم فيما يتعلق بالجريمة .. لكن أرجو ان تصدقنى .. لقد كان « مدرس الرياضيات » والاثنان شريكاه .. أقدم منى فى العمل .. فهما يديران هذا المكتب الخاص بالسفريات قبل أن أعرفهم بسنوات .. استطاع أن يستولى على .. أن يصور لى الامر ببساطة .. وأفزعنى تماما من « حسونة » الحقوقى الجامعى .. جعلنى اطوع له من أصابعه .. وأغرقنى فى نهر من النقود .

يصمت .. يشير بيديه .. يفتح فمه ويغلقه .. فلا يخرج سوى الهواء ..

انظر اليه .. أطالبه بأن يتكلم .. يقول بعد ان يشعل سيجارة ..

أحببت كما يحب كل الشباب .. حب « على الطاير » كان ذلك وأنا فى الجامعة .. ولابد أن تنتهى تلك المغامرات بالفشل .. أو بالنجاح اذا أردت الدقة .. فالنجاح كل النجاح هو أن تنتهى تلك المغامرات الطفولية بلا شىء .. اثناء عملى مع صاحب مكتب السفريات .. كنت أحصل على الاقل .. كان يبيع الوثيقة الخاصة بالاعفاء من الجيش بخمسمائة جنيه .. لكنى لم أكن أحصل منه الا على ربع المبلغ .. وهكذا بقية الوثائق الاخرى .. بعد فترة وجدت نفسى اسيرا لرغباته .. حاولت الخروج عليه ، والتمرد على الجريمة .. طاردنى

حاصرنى .. هددنى .. عدت أنفذ ما يطلبه ، وأنا احس بالصغار ، والاحتقار لذاتى .. وكنت تعويضا لذلك أنفق بسخاء ، وأبعثر ما أكسبه .. كأننى ألتقم من النقود التى كانت السبب .. !

بتأثير من الصراع اليومى الذى أعيش فيه .. والقلق الذى يسيطر على ، والخطر الذى أدرك مداه كقانونى .. اضطربت كل عاداتى ، ونفذ القلق الى أعماقى .. فجعلنى احمل فى خاطرى بصفة مستمرة احساس المسافر .. لا أستقر فى مكان الا لاغادره .. السجائر كل يوم أشترى نوعا غير الآخر .. أسـكن فى شـقق مفروشة ... تركت بيت أبى .. وجدت نفسى أهرب منه .. قد يكون ذلك حرصا منى على ألا يصيبهم الاذى حينمـا تحين النهاية .. كنت موقنا من أن هذه الوثائق سوف تكشف عن نفسها يوما ما ، وأدخل السجن .. ومع ذلك وفى قمة هذا الخطر وجدت قلبى يخفق بحب انسانة .. !

هل تصدق أننى فزعت .. فوجئت بحبها لى أكثر .. مما فاجانى قلبى بحبها .. كانت تعمل وقلت لهـا أننى أعمل شريكا فى مكتب السفريات وأن دخلى الشـهرى لا يقل عن خمسمائة جنيه .. الحقيقة أننى كنت أقبـل عليها خوفا من الوحدة .. كنت أخاف ان انفرد بنفسى فلا اجدها ألم أقل لك ان صاحب مـكتب السـفريات انتزعنى من نفسى ..!!

لم يوافق والدى على اختيارى .. رأيت ان من حق والدى ان يعلم فهو الذى سوف يصبح جد أولادى منها .. لكنه تعسف فى استعمال هذا الحق .. رفض اختيارى وحاول أن يفرض وجهة نظره على .. لكنى تمسكت ..

قلت له انه ليس له حق الاعتراض .. فتلك مسألةخاصة بى وبحياتى ...

توقف عن الكلام .. فقلت :

ـ ماهى الاسباب التى بنى والدك عليها اعتراضه ..؟

« كان واضحا انه يريد ان يزوغ من الجواب » .

قال : هذا لا يهم .. فقد تزوجت ، وأنجبت بنتا .. ولكن لا الزواج ولا الانجاب خلصنى من الصراعات التى تعذبنى .. تضاعف القلق وكنت أرجو ان يخف .. وبعد ان كنت أخاف على نفسى فقط .. أصبحت أخاف على اثنين معى .. لا يشاركاننى الخوف .. تصاعد عذابى الى حد رهيب .. لذلك تجدنى رغم كل عناصر المأساة التى تحيط بى الآن .. الا اننى أشعر ان المسافر الذى كان داخلى قد وصل الى محطته .. واننى استرجعت نفسى التى خبأها منى « مدرس الرياضيات » لحظة سقوطى فى أيدى رجال « العميد عبد الله السماحى » رئيس مكافحة التزييف ، ولحظة دخول المقدم « جمال الجوهرى » على فى مسكنى الخاص بالعمل فى مدينةنصر .. استسلمت دون مقاومة .. كأننى كنت أنتظره .. شىء واحد أدهشنى هو كيف وصلوا الى .. ؟ اذ لم يكن أحد من الذين يعملون مع « صاحب مكتب السفريات » يعرف مكانى ..

« تحرك فى مقعده ، وأخرج سيجارة ، وهم باشعالها » ..

قال وهو يغتصب ابتسامة .. لقد قلت كل ما أستطيع ان أقوله فقط ..

العميد « عبد الله السماحي » .. قال لى ان «حسونة» واحد من اذكى ، واحرص الذين عملوا بالتزييف والتزوير .. والذين تنابوا على مراقبته عدة أيام .. قالوا أنه كان لا يستقر فى مكان أكثر من دقائق واذا ركب سيارة اجرة لابد أن يغادرها بعيدا عن هدفه .. حتى لا يعرف احد المساكن التى يأوى اليها .. وهو لم يترك وثيقة من وثائق الدولة الا وزيفها ابتداء من وثائق السفر الى شهادات الميلاد الى الشهادات الدراسية على كافة مستوياتها ، وأختام السفارات والقنصليات .. انه عبقرى تزوير ولا يكتشف تزييفه الا بالفحص الدقيق ..

واضاف ان الاجهزة المسئولة في الجيش ضبطت ثلاث شهادات اعفاء من تزويره ، والبقية تأتى ...

زورق فوق الصخور

اصيخ بسمعى أسافر مع اللحن .. الذى يتهدج .. ينبض .. يتراءى كأنني أراه .. وجــودي ضباب .. كدخان .. كعطـــــر له لون .. يملؤنى . يحيطنى .. يشعرنى بالدفء .. يصيبنى برجفة .. يتحكم فى أعضائى .. يهز اعماقى .. أحس كأن عروقى هى التى تعزف .. ودمائى تجرى على ايقاعاته .. صـــــاعدة هابطة .. !

وعينى عليها وهى بين ذراعيه .. ترفع نحوه وجهها الذى يضج بالرغبة .. يفيض بالتوسل .. وهو يأكلها ببصره .. واللحن الملعون يصيح .. يعوى كالحرمان ، يحرض . يغرى . يدفع الى كل شىء .. يفقد الانسان مقاومته .. !

وأنا تعتصرنى موجات من الشك عملاق الحجم .. يخترق كيانى فيصرعنى .. استرجع أيامى معها .. فاذا بعدوانها على حاضرى .. ألغى ماكان ، وأوقف ما سيكون .. تأخذنى غياهب كأس الخمر .. الى كهوف الماضى .. كأنى أطوف بجبال الزمن التى تحد حياة الخلق منـذ

الوجود .. والماضي يغيب في الظلمة .. ينزلق .. يتلاشى .. يصبح أكفانا للذكريات !

الحب الذى قضى نحبه .. أبصره الآن طريحا تحت قدميها .. تدوسه بنعليها .. تفقأ عينيه بالرغبة الشريرة .. بالارادة الخاطئة التى تتحرك فى أعماقها .. وتنعكس على ملامحها .. طردى من رحابها بات رهن اشارة .. لو أنى أستطيع .. لو ثبت الآن ... فخطفت حياتها من بين جنبيها .. وتركتها بين يديه جثة هامدة .. !

لكنى عاجز كل العجز .. لا أملك تحويل الفعل الى عمل .. أتمنى فقط .. سلبتنى الخائنة قدرة التنفيذ .. صيرتنى عالة على أحلامى .. تتراكم فى خاطرى حلما بعد حلم .. دون أن يتحول بعضها الى حقيقة .. لكنى الليلة .. قررت الخروج من شباك الوهم .. سوف أتحرك .. أمشى على شوك الحقيقة .. لكى أرتاح نهائيا من عذاب الظنون .. !

ان لم أتخلص الليلة .. فلن أتخلص الى الابد .. سوف أظل أسيرا لهذه القيود التى تشل كيانى ، ولا يشعر بوطأتها غيرى .. تأكل راحتى ، واستقرارى ، ورضائى .. كألم الاسنان .. كنت أبرئها دائما ، واتهم ظنونى .. فقد كان هواها يستغفر لها عندى .. يخبىء عن خاطرى حماقاتها .. يبدل كراهيتى أرصدة حب لها .. رصينة .. متينة .. لا تزعزعها الهفوات .. فكثير على أن أعترف بغفلتى بعد كل هذا .. أتكون حياتى ضاعت هدرا ؟ . أيكون ذكائى قد خاننى فى اختيار امرأتى .. ؟

سنوات خمس قضيتها في تخلف عاطفي .. عاجز عن ادراك الزيف الذي تعطيه لي ! .. وقاصر عن فهم حقيقة خديعتها لي ! أتصور في غباء .. زحف الرمال أمواج هوى .. أقيم زورقي في صحراء .. أجدف في لجج الوهم .. وأنا على قمة الصخور .. !!

أخذتني اليها أخذا .. لم أشعر به .. كأنني منجذب بخيوط خفية .. لم تسكن الفكرة في وجداني .. لكنهـا استطاعت ان تفجرها .. دعتني الى زيارتها بالتليفون .. كانت « ثلاجتها » معطلة .. وطلعت على .. كأنني عشت أيامي قبلها لا أرى الشمس .. شقت الغلاف الذي كان يطويني .. أحسست أنني أرى أول امرأة في حياتي .. هي وحدها التي جعلت أعماقي تضطرب . تموج .تفور. تثور .. أدرك انني أعيش دون امرأة ..رغم ان لي زوجة وطفلة .. اجتاحني البهاء الذي يصدر عنها .. بهاء أنوثة مثقفة .. خبيرة .. ذكية .. تأخذ بيد الرجولة .. كالأم تدرب طفـلا على المشي .. واحسست برجولتي داخلي . تهب . تثب . تريد أن تحبو .. في طموح لا يحد .. !

ونثرت بين يدى هموم عمرها .. فهي أرمـلة في الربيع . دفعوا بها صغيرة .. الى براثن رجل ثرى .. عجوز .. قتله عبير أنوثتها القوى النفاذ .. مات بعد ثلاثة أعوام ..

وترك الشمس تشرق كل يوم ، تجمع اشعتها كل ليلة .. يأكلهـا ظلام الوحدة ، وجليد الاحلام المختلفة ؛ وشعرت بكياني يسيل عطفا عليهـا .. وبكت بين يدى بدموع ساخنة .. تصف بحرارة برودة لياليها ..والوحدة

القاتلة التى تعيش فيها .. وأفرغت أعمـــاقى من كل ما يشغلها .. واحتويتها فيها .. دون أن أفكر لحظة .. فيما يجب وما لا يجب ..!

نسيت الزوج الذى كنته ، والاب الذى احيـــاه .. خيل لى اننى لم أخلق الا لها ..وان كل الماضى كان اعدادا للقائى بها .. وأن ظروفهـــــا كانت تدخرها لى .. وسلختنى من وجودى .. تستخلصنى لنفســـها .. وسعدت بهذا الانسلاخ وساعدتها فيه .. واغلقت اذنى عن كل صوت الا همساتها ..

اسلمتها قيادى ، وانا اظن ـ مخدوعا ـ أن قيـادها فى يدى .. ذابت « الورشة » فى لهيب الحب ..ودخلت معى فى مشروع .. صالة عرض لبيع السيارات .. لم تعد أصابعي تمسك بالمفاتيح .. اجلستنى وراء مكتب، وعلقت فوق راسي عناقيد من الاضواء ، واصرت على ان يكون خلفى جهاز تكييف .. بارد فى الصيف ، وحار فى الشتاء ، وبذلك انقطعت علاقتى الطبيعية بالحياة لم يعد الخير هو الخير ، ولا الشر هــو الشر ... فقد كانت هى جهاز التكييف الذى يزيف على المشـــاعر ، والاحاسيس .. وكلما اوشكت أن أفيق .. اطلقت حولى أجهزتها بكامل قوتها .. حتى أعوم فى التزييف .. فلا أدرك مياه البحر من سراب التيه !

أن كل المشروعات التى تستخدمنى فيها باسمها .. وأنا لست أكثر من عامل بالاجر .. هذا الاجر الذى كثيرا ما يكون شـــحنات عاطفية .. تسهم فى تطويعى .. للتنويم المغناطيسى الذى وقعت تحت تأثيره .. الا ان الصفعات المتوالية ....اضطرت يقينى الى أن يفيق !

سنوات خمس وهي حريصـــة على الا تنجب منى أطفالا .. وحجتها أنهـــا لا تريد أن تشغل عنى . ولا أشغل عنها .. لكن الاعمال التى تصدر منها فى الايام الاخيرة تؤكد غير ذلك .. ففى أثنـــاء مناقشتها فى المشروع الاخير الخاص « بمصنع الثلج » .. أحزننى أن أسمى لم يرد فى العقد .. وبررت ذلك بأن المساهمين جميعا هم اقاربها .. وانها دخلت بأرباح صالة العرض فقط .. ونبهتها الى أن هذه الارباح .. أنا صاحبها ، وقد ابتلع تأسيس الصـــالة ومعرض السيارات ثمن « ورشتى » ، وجهدى خلال هذه السنوات .. الا انهـــا لم تفسر ذلك واكتفت بأننى مازلت شريكا فى المعرض !

وليس ذلك هو موضوع الالم الحقيقى .. ان هـــذا اتفه من التفاهة فكل شيء يمكن مناقشته .. يمكن أن تصل فيه الى حل .. اما الذى لا يناقش فهو موضع الالم الذى لا يمكن الكشف عنه .. ذلك هو هذا الشـاب الذى برز فجأة فى حياتها على انه أحد اقاربها .. لكنى الاحظ كثيرا انه يأخذها منى شيئا فشيئا ، وينطلـــق بعيدا بهـــا رويدا رويدا ، وأنا اقف مكانى .. ارقب المهزلة . متذرعا الكبرياء .

لكن الليلة لم أعد أستطيع .. وهاأنذا أرقب من مكانى .. ذلك الحوار الصامت الصاخب الذى يدور بين أعضاء جسدها ، وجسده ، وهو يضمها أثناء الرقص الا أننى مكتوف اليدين ، والخواطر والافكار .. لم أعد أدرى عدد الكئوس التى ألقيتها فى جوفى .. الذى وعيته .. ان الدنيا انطفأت .. سقط الوجود من حولى مغمى عليه ..

ولم يعد لوزني اى ثقل .. وتاهت الارض مـــن تحتى .. ورأيت ملابسى تأخذنى وتهوى الى واد من الظلمة !

وحينما عدت من غفوتى .. استطعت ان أجد كل أعضائى كاملة فى ملابسى .. وأننى بـــكل ملابسى فى الفراش .. والغرفة تسبح فى الظلام والســكون .. واعتدلت فى اصرار .. تدفعنى رغبة فى التقيؤ لا قدرة لى على مقاومتها .. وأسرعت بالقدر الذى استطعته الى دورة الميـاه .. وبقيت فترة طويلة .. ثم وضعت رأسى تحت « الدش » الى أن تأكد لى وجودى كخط باهت على ورقة بيضاء .. !

وخطوت الى داخل الشقة الواســعة ، وناديت على الخادم .. فقد صفعنى الصمت المطبق واقبلت الشغالة .. فسألتها عنها .. فقالت انها هبطت مع بعض المدعوات توصلهن الى منازلهن ثم تعود ..

ومضيت الى غرفة النوم .. ولم اصمد طويلا .. فقد كنت متعبـا .. وغمرنى النوم .. وفتحت عينى على صوتها .. كانت تنادينى ، وقد أضاءت النور الصـغير فى الغرفة وارتدت ملابس النوم .. لكنى ولست أدرى لماذا رأيتها فى حلبة الرقص ، وهى تتعلق بعنقه ، وهو يضمها بعنف .. يكاد يدخلها فى ملابسه .. واعتدلت صارخا أطلب منها .. أن تبتعد عنه .. ونظرت خلفها فى ذعر .. وتساءلت بعينها .. لكنى وثبت عليها .. قبل أن تلتفت الى ، وأطبقت يدى على عنقها الجميل .. اصرخ فيها أن تبتعد عنه .. وأمسكت بيدى تحاول أن تتخلص .. لكنى تشبثت بعنقها ، ورنت الى نظرة فجرها الرعب .. وحاولت أن تقول شيئا .. لكنى لم اسمعه ..

لانه لم يخرج من حلقها .. وتقلصت ملامحها .. وهبشت وجهى بأصابعها .. فترنحت وتركتها فسقطت على الارض .. فألقيت بنفسى فوقها .. وانقلبت على وجهها تخبىء عنقها منى .. لكنى أمسكت بشـــعرها .. أجذبها منه وأصك برأسها الارض .. وهى تصرخ الى أن كفت عن الصراخ .. فدفعت يدى أواصل خنقها .. حتى همد جسدها تماما .

ضحايا الربيع

ليس فى حياتى مكانا للحب .. الذين لم يصلوا الى العشرين مثلى ، كلهم يتكلمون عن الحب .. يتحدثون عن علاقات قامت بينهم وبين فتيات .. فى الشارع .. أو فى الحارة . أنا وحدى الذى أجلس اليهم أستمع .. دون أن أقول شيئا ..

حينما كنت صغيرا دفعت بى أمى الى ورشة لاصلاح السيارات .. كانت فى حاجة الى الاجر الاسبوعى الذى يعطيه لى صاحب الورشة على ضآلته .. وبقيت سنوات لم أتعلم فيها شيئا .. فلم يكن لى من عمل سوى القيام بخدمة « الاسطوات » .. وشراء ما يلزمهم : السجائر والطعام . لا شىء غير هذا .. فقد كنت صغيرا دون سن الذهاب الى المدرسة .. وعرض أحد أصحاب محلات الحدادة على والدتى أن تنقلنى عنده فى مقابل أجر مضاعف .. فلم تتردد ، وهناك أحسست بوطأة العمل .. كان شيئا مرهقا لطفولتى أن أظل الساعات أمام النار ، وأن أحمل الفحم على كتفى ، وأن أنقل الحديد الخام الذى يراد تشكيله الى « الكور » وأن أقدم

المطرقة الى « الاسطى » ، وكنت لثقلها أعجز عن حملها .. !

بدأت أكبر ، وتكبر معى المتاعب .. ورأيت ان أصحاب الورش يأكلون العامل الضعيف . فبدأت أرفع صوتى ، واغلظ فى القول ، وأستعمل أحط الالفاظ ... وأحيانا أجعل يدى تتدخلان فى الحوار ، وتضخمت العدوانية عندى وفجأة وجدت الجميع يعاملوننى باحترام ، ولا يحاولون العدوان على حقوقى .. وشيئا فشيئا اصبحت معروفا بالعنف بين الجميع ، وامتد العنف الى كل نواحى حياتى ، والى كل المتعاملين معى .. حتى اخوتى فى البيت ..!

وتركت العمل فى ورش الحدادة الى العمل فى « تسليح حديد العمارة » فالعمل فى هذه المهنة الاخيرة اكسب ، وأسهل .. بالاضافة الى انه يتوقف على سرعة العامل وجهده ، فهو عمل بالانتاج ، وكنت أربح من ثلاثة الى خمسة جنيهات يوميا .. !

اصبحت معروفا فى نطاق الحى . لم اكن أعطى لأمى سوى جنيه واحد يوميا للمصروف . أما الباقى ، فهو لمزاجى الخاص .. ولم يكن العمل متواصلا .. هناك أيام لا نعمل فيها .. لأسباب لا نملكها عدم وصول الحديد مثلا .. هذه الايام كنت أقضيها متسكعا على مقاهى الحى .. أمارس بين أهل الحى سيطرتى .. قوتى .. استعراض كسبى وتأكيد سطوتى على جميع الشباب الذين هم فى مثل سنى .. لا سيما التلاميذ الذين لا يكسبون ، وكانوا جميعا ينافقوننى .. لاننى « أرش » عليهم السجائر الافرنجى والشاى .. !!

ولد وحيد كان دائما يحاول التفوق على .. مجـرد رؤياه كانت تجعلنى أشعر اننى أريد الدخول معه فى معركة .. كان يتحداني أحيانا بصمته .. أحيانا بقدرته على الحديث .. كان يستولى على الحاضرين فيسمعونه .. ويتركوننى .. رغم ان سـجائرى فى أفواههم .. ودائما أحس من الداخل أنه يفوقنى .. لكن فيما يتفوق على .. هذا ما كان يحيرنى ؟

مع انه لم يكن يكسب مثلى .. كان يعمل ايضا فى « مهنة المسلح للعمارات » لكنه لم يكن له الاجر الذى احصل عليـه .. فجأة وبعـد وقائع صغيرة طويلة .. وجدت نفسى كلما التقينا لابد من ان أقارن بينه وبينى .. .. « ماهر » هذا يحمل فى وجوده الشىء الذى يفجر فى أعماقى شيئا ضده .. يثيرنى ، يفزعنى الى حـد جعلنى أشعر اننى فى حالة دفاع عن النفس .. لماذا ..؟ هذا مالا أدريه .. !؟

وكلما تقدمت الايام ازداد هذا الشعور بروزا .. كأننى كنت أحس بالمأساة التى سوف يسببها لى ، واسببها له .. إلى ان جاءت الليلة الحزينة ليلة الربيع ذروة المأساة ومعانقة النشوة المجنونة دعونة العمر،والخمر .واللامبالاة!

ليلة « شم النسيم » ، وكل ما حولنا يدعو الى الابتهاج التقينا على موعد .. رهط من شبان الحى ، ومعنـا « ماهر » هذا ، وآخرون غيره واخترنا مكانا يصبح فارغا فى العطلات ، ومفتاحه مع ابن كبير فراشيه واخذنا عناصر البهجة من زجاجات ، واطعمة وغيرها ، وبدأنا السهرة منذ الحادية عشرة ، ودارت الكئوس وخلطنـا دخان السجائر بما يزيد من تخديرنا ، ودارت الاحاديث ، ومع

الوعى الذى بدأت أفقده .. بدأ شعورى بالكراهية لهذا الانسان يتفاقم .. اذا أشار بيده وهو يتحدث خيل الى أنه سوف ينقض على واذا تحرك تخيلت أنه سيهجم على .. حالة من العصبية ضدى ركبتنى كأن بيننا ثأرا قديما ..

كنا نتحدث عن انتصاراتنا الغرامية ، وقدرتنا على كسب القلوب ، « فهلوتنا » فى كسب النقود .. رويت قصة .. سخفها ، وكذبها حاول أن يجعلنى «مسخرة» الجلسة .. قلت له يا « ماهر » تجنب غضبى .. فأنا بى رغبة قديمة الى تلقينك درسا فى الادب .. هاج وماج ، وصورت له الخمر .. انه عنتر زمانه .. فأغلظ لى القول .. قذفنى بشىء كان فى يده « قشرة فول أخضر » .. هجمت عليه أحدهم قال لا تفسدوا ليلتنا بمعارككم .. اخرجوا اذا كنتما تريدان تكملة المعركة .. خرجت وأنا أدعوه أن يتبعنى .. اذا كان فى جسده قطرة من رجولة .. قفز من بين الجميع الذين حاولوا أن يعيدوه .. لحق بى .. تماسكنا .. تضاربنا .. أوسعنى لكما وضربا ، وأنا ألوح بالمطواة يمينا وشمالا .. لكنه يزوغ منها ..

بقينا أمام باب المدرسة التى كنت داخلها .. أخيرا تمكنت من تصويب ضربة قوية بقدمى الى موضع حساس من جسده .. فصرخ ، وانحنى ووجدت نفسى مطلق اليدين ، وهو قد شغله الألم الذى اعجزه عن الحركة فغززت المطواة فى جانبه الايسر الذى كان قريبا منى .. صرخ صرخة عالية .. انبثق الدم على يدى .. سحبت المطواة .. سقط على الارض متكورا يتخبط فى جنون ، يؤكد انه لن يقوم ثانية .. والدم يهدر من جرحه .

في لحظات اصبحت ملابسه كلها حمراء .. على ضوء الكهرباء في الشارع ايقنت ان المسألة تجاوزت كل تقدير كان في عزمي .. لم يعد درسا أصبح الموضوع جريمة قتل .. انحنيت عليه .. ناديت على الاصدقاء خلعت قميصي .. حزمت به جرحه لعله يكف عن النزيف .. كان يموت . وكانت روحه تنسحب شيئا فشيئا .. :

بعض الاصدقاء آثر الهرب فورا .. بعضهم ظل بجواري نحاول أن نوقف النزيف .. لكن صاح احدنا ، وكان اقربنا اليه يقول :

ـ رحت في داهية يا علاء .. ماهر مات .. !!

لم اذهب الى سكن امي .. فمن المؤكد انهم سوف يتوجهون اليه رأسا .. ذهبت الى بيت شقيقي الاكبر .. كانت الساعة تقترب من الثالثة .. لم أحاول النوم ، فقد كان ذلك مستحيلا .. فالليلة من أولها تدور أمامي ، حتى لحظة موت « ماهر » ثم تبدأ من جديد هل هذا حدث حقا .. ام انني نائم هنا منذ اول الليل ، وما حدث لم يكن أكثر من كابوس .. ؟

كنت أطعن نفسي بالسؤال تلو السؤال ، واهتز ، وانا نائم كل جسدي يرتعش .. ورغم كلّ ذلك .. الا ان راسي ثقل ، وتعطل كل شيء داخلي وخارجي .. وسقطت في بئر مظلمة عميقة .. وحينما استيقظت وجدت عند راسي المقدم « عادل سليم » مفتش المباحث ، والمقدم « عبد العزيز حامد » رئيس وحدة مباحث «عين شمس» .. كيف وصلا الى هذا مالا اعرفه حتى الآن ..

العميد « عباس العاصي » مدير مباحث القاهرة .. يجيب على أكثر من علامة استفهام .. فقد بلغ العقيد

« حازم شفيق » ان الجثة لشاب دون العشرين وجدت بجوار سور مدرسة فى الزيتون مطعون بطعنة قاتلة وليس مع الجثة بطاقة أو ما يؤكد شخصيتها ..

يقول مدير المباحث .. ان الجثة دائمـــا تشير الى قاتلها .. لكنها فقط تحتاج الى رجل المباحث الذكى،وقد انتقلنا للمعاينة .. من ملابس القتيل الداخلية والخارجية عرفنا انه من العمال الذين يسكنون المنطقة .. القميص الذى كان حـــول جرحه لم يكن قميصه لا مقاســـــا ولا موضوعا .. لانه يرتدى قميصا ، وليس من المعقـــول ان يرتدى قميصا ويمسك بآخر .. الذى حدث ، وأثار الاقدام الكثيرة التى حول الجثة تؤكد انه سقط فى معركة ، وان جهودا بذلت لانقاذه .. والليلة ليلة شم النسيم ، القتيل تفـــوح منه رائحـــة الخمر ... واذن فالجريمة وقعت بين مجموعة من الشباب غالبا من عمره، بعد اغراقهم فى الخمر وقـــد تـــكون فى الامر امرأة او لا تكون .. !!

وتكون فريق بحث مستقل رابط فى مكتب العقيـــد احمد عبد العال مأمور قسم عين شـــمس وفى كل لحظة تصب المعلومات ، وتتجمع ..

« القتيل » تعرف عليه بعض اهل الحى .. على الفور جاء أهله .. قالوا كان مع من فى أول الليل .. جىء بصحبته .. قالوا الرواية .. ذهبت قوة من المقـــــدم « سعيد العبار » والرائد « أحمد حلمى » رئيس وحدة الزيتون الى بيت ام القاتل .. وتوجهت القوة الثانية الى بيت شقيقه وهذه القوة هى التى عادت به .. فى

ست ساعات بعد البلاغ عن الجثة المجهولة كان القـاتل يعترف بكل شيء .

الرقم القياسي هذا في اكتشاف القـاتل الذى كان مجهولا يرجع أولا الى الالمام العقيد حازم شفيق بالمنطقة الماما يغنيه عن التحركات الطويلة الامد .. ثم فريق البحث اليقظ الذى قاده المقدم « عادل سليم » .. ثم المعاينة التى وضعت فكانت نقطة الانطلاق ، وقام بها العميـد عباس العاصى مدير المباحث بالقاهرة ، والمتابعة اليقظة التى يوليها اللواء صلاح أمين مدير أمن القاهرة لجرائم القتل فى العاصمة .. !!

الاحتـــراف

الملجأ الذى يأوى اليه .. اذا اقبل الليل ، وهو لابد مقبل ، الطعام الذى يجده اذا عضه الجوع ، وهو لابد ان يعضه ، الحب الذى يعب منه اذا احتاج الى حب ، وهو لابد محتاج .. كل ذلك كانت تمثله له .. !!

هى المأوى ، والطعام ، والحب ، والحيـاة بالنسـبة له .. هو فى ثيابها وهى فى ثيابه سواء أراد أو لم يرد .. أحيانا يشـعر انه لا دخل لارادته فى ذلك .. ! العوامل التى تتحكم فيه عوامل أخرى .. آخرها ارادته .. لقد سقط بلا قيد او شرط فى براثنها .. صعب أن يقرر الآن ، وهو تحت وطأة الغيبوبة اللذيذة يدفعهـــا الى قلبها الدخان الازرق .. اذا كان يريدها .. ؟ يحبها او لا يحبها .. ؟ يبقى معها أو يرحل عنها .. ؟ واذا رحل فالى أين ؟ ..

الاسئلة كثيرة ، والحيرة اكبر ، والاجـــوبة شبه منعدمة .. فهو أيضا يخاف ان يفقدها .. فهى الحبل السرى والعلنى الذى يربطه بالحياة .. انه يتطوح فوق هاوية سحيقة .. اذا ترك المرأة هوى الى القاع مقتولا ،

واذا ظل يتطوح اكل اعصابه القلق ، وقتله الجنون ..
ولا حل بين الامرين !

وأطلق بصره يتعلق بالسقف .. يبحث عن حل ..
فأبصر « عنكبوتا » نهما ينسج خيوطه حول « ذبابة » ،
وهي تحاول في يأس الخلاص .. كلما انتزعت نفسها في
محاولات مستميتة .. غاصت في قيودها ، وأحكم حولها
سجنها .. !

اخترق سمعه صوتهـــا ، وهي تأمر ، وتنهى ..
فالاستعدادات تجري على قدم وساق .. اعداد المائدة
التي تعدها .. استقبالا لبعض أصدقائها ، ومعارفهـــا
الذين دعتهم .. فهي لا تكف عن الحفلات تحيط نفسها
بمجموعات لا تكن لهم اى احترام . بل تمقتهم جميعا من
أعماقها .. لـكنها لا تستغنى عنهم .. أتراها تريد ان
تختبىء خلفهم ؟ . تجعل منهم خيمة كبيرة .. تسترها
عن عيون الآخرين ؟ . أم انها تفرض عليهم أن يشهدوا
سعادتها .. وأن يقروا لها بأنهـــا ، وهي على ابواب
الخمسين ، من حقها أن تقتنص شابا مثله لم يخترق
الثلاثين ؟ . فاذا ما اجتمعوا ، واكلوا ، وشربوا عرضته
عليهم . كما يعرض تاجر الخيول ، حصانا اشتراه بثمن
بخس من أصحابه الذين كانوا في حاجة الى نقود !؟

« فسوسو هانم » كما تحب أن تنادى .. امرأة ضاعت
صغيرة .. اشتراها تاجر محظـــوظ . في صفقة غير
متكافئة .. وجدت نفسها وهي في العشرين .. بين
احضان هيكل من الجلد والعظم على أبواب الستين ..
له مجموعة من الابناء والاحفاد .. لكنه مسموع الكلمة .
لا يقف أحد في سبيل رغبـــاته .. الكل يطيعونه ،

وينفذون ما يأمر به .. حتى لو كانوا يخالفونه الرأى ..
ولم يكن أمامها الا أن تستسلم .. غارقة فى بحار النعمة
.. فلا هى ولا والدها الذى كان من بين عماله .. كانا
يحلمان بما حصلا عليه من عزة ، ورفعة ، ومجد .. الا
أنها كانت تحس دائما ، وهى ترنو الى الشبان ، وتقارن
فى أعماقها بينهم ، وبين هذا الذى اشتراها .. فتفطن
الى أن قلبها يسكب دموعا فى صدرها .. وتعانى من
الشعور بذنب عظيم .. كأنها اما قتلت طفلها الرضيع
خنقا بأصابعها !!

وشيئا فشيئا نمت أنوثتهـــا ، واكتملت خبرتها ،
ونضجت كامرأة ، وضاق بها القفص الذى كان يحتويها ..
وبينما هى توغل فى السن الخطرة . مات الرجل وترك
لها طفلا .. !

وواجهت المرأة الشمس لاول مرة .. صدمها الضوء
الباهر ، ففقدت القدرة على التمييز .. واندفعت بعد
شهور من حصولها على حقها فى الميراث .. تتزوج من
المحامى الذى ساعدها فى الحصول عليه ! .. لكنه كان
هو الآخر فى الخمسين .. واستهلكته مشاغله القديمة
والجديدة .. فلم يعمر أكثر من ســـنوات ، وهى فى
محنتها المركبة .. عمرها يتسرب من يدها .. دون أن
تملك ما تفعله .. لوقف النزيف .. !!

ثم التقت به .. كان كغريق قذفت به مياه النهر على
الشاطىء .. مطرودا من الجامعة .. مقذوفا من معتقل
.. ملفوظا من أهله ، الذين لم يصيبهم منه سوى كل
سوء .. جاء الى صالونها الذى كانت تزعم انه أدبى ..
وما كان الا حلقة من حلقات الاعمال الهستيرية التى تقتل

بها الملل ، وتستعين به على السباحة فى نهر الفراغ .. قدموه لها على أنه أحد شعراء العصر الواعدين .. يقول كلاما كالسحر .. لكنه غير مقفى .. صورة من صاحبه .. مهووس .. ضائع .. مقطوع الصلة بالشعر الاصيل .. مهشم .. تعوم الكلمة فيه .. كزورق مفقود الشراع .. فوق أمواج هائجة .. فى يوم عاصف !

وقعت عينها عليه ، وهو فى محنته .. يتوارى خلف الهـــراء الذى يســـميه شـــعرا .. فأدركت بذكاء المرأة الخبيرة أنه مبتغاها .. قوى البنية .. ضعيف الارادة .. بل بلا ارادة على الاطلاق .. سحقت تربيته الريفيـــة ارادته .. خضع لوالديه .. ثم خضع لمدرسيه .. حتى كلية الحقوق التى طرد منها ، اختارها له والده .. وجاء الجامعة والقاهرة .. فتعلق بطالب من بلدته .. أكبـــر منه .. أسلمه أمره ، اعتنق المبادىء التى يعتنقها ، ولم يرفض له طلبا .. حتى وجد نفسه مقبوضا عليه معه .. دون أن تكون له ارادة فى كل ما حدث !

همست فى أذنه تدعوه الى الغداء وحده فى اليوم الثانى ، ولبى موعدها ، وهو يسبح فى حيرة ، وقلق .. لكنه قلق التفاؤل .. وفاجاته وهو على المائدة ، انهـــا جمعت الكثير عنه ، ولم يكن هو قد عرف عنها الا القليل .. واذا به يشـــعر انه عار أمامها الا من ملابســـه المتواضعة ! . ولم تجد عناء فى أن تطلق عليه رغبتها .. فقد قيدته ، راحت ترشقه تارة بالزهور ، وهو لا يدرك اذا كان حقا ما يقوله .. أم انه يعشق عندها المأوى ، ويحب فيهـــا الاستقرار ، ويذوب من هوس الاطعمـــة الدسمة ؟! ..

أصرت على ممارسة الدلال ، والاغراق فى التمتع ، وروضته حتى وضعته على حافة اليأس .. تختبرعشقه، وترسخ فى ذهنه ما تريد ، وتشهد الذين من حولها .. انها ما زالت معشوقة من الرجال .. مطلوبة من أصغرهم سنا ، وأكثرهم شبابا ، ورفع يديه يعلن استسلامه دون قيد أو شرط .!

ولكنه وهو فى قمة سعادته .. كان يحس بقيود تلتف حوله .. يســـمع صلصلتها ولا يراها .. وكلما حاول الافلات .. علت الصلصلة ، وزادت حركاته الهستيرية ، ووجد نفسه يكتب بشعره المهلهل قصيدة بعنوان « رقصة الاغلال » .. ! أتراه كان يعبر عن نفسه .. ! —

ورأت النيابة العامة فى هذه القصيدة بداية الاتفــاق الجنائى بينه وبين ضميره .. فقد كان يعلن انه سوف يتخلص من قيوده التى تكبله .. ويقتل « الغولة » التى تطعم عبد الله البحـــرى ، وتسمنه .. حتى تأكله فى النهاية .. !

فوجئت منطقة «حلوان» كلها «بنفيسة محمد شاهين» الشهيرة « بسوسو هانم » قتيلة فى « فيللتها » ، وقد مزقتها طعنات قاتل غادر .. واتجهت الشبهات الى زوجها الشاب الذى لم تكن على وفاق معه فى الايام الاخيرة !

ولكن السرقة التى وقعت فى غرفة نوم القتيلة .. ووجود القاتل فى قريته قبل وقوع الحادث بثلاثة أيام ، واستدعائه من هناك جعل رجال المباحث يصرفون النظر .. للبحث عن فاعل آخر .. الا أن سائق السيارة الذى شهد بأنه نقل « عباس الحلاوى » ليلا من قريته الى

« حلوان » ، ثم عاد به ، وقد زعم انه استعاد شيئا كان قد نساه فى « الفيللا » ؛ ولم يكن يظن أنه قتل ..

وضاقت على عنقه القبضة .. فبدأ يعترف .. ان المرأة بدأت فى خطة طرده من حياتها .. أحس أنها وضعت عينها على ذكر آخر .. ورغم انه لم يكن يحبها كل الحب .. الا أنه شعر بأنها تجهز أخيرا على رجولته التى لم يبق له سواها .. تمنى لو أنه كان هو البادىء .. كان فعلا فى العام الاخير يتهيأ ليطلقها ، فقط كان يمهد لنفسه .. حتى لا يفاجأ بالفطام النفسى منها دفعة واحدة .. واستطاع أن يجعل لنفسه مركزا اقتصاديا يغنيه عن الاستعانة بمالها .. لكن مبادرتها الى اقصائه ، وفصله من وظيفته كزوج .. أهاجت مشاعر الغيظ الذى ما لبث أن تحول الى حقد يبحث عن انتقام بشع .. لن يمكنها من الاستسلام الى ذكر اخر .. وكأنها تلقى برجولته فى وجهه .. قال لوكيل النيابة « فقدت كل عقلى حينما طلبت منى الطلاق ، وذكرت لى اسم الرجل الذى سوف تتزوجه .. لكى ترفع من حقدى عليها » .. كانت هى بكل ما فيها تحرضنى على قتلها .. ولهذا قتلتها .. !!

محاولة فاشلة للحياة

هل يمكن أن يتحول العجز عن « ... » بعد طول الكبت والمعاناة الى قدرة على « ... » ! وهل تتحول الطاقة السالبة الى موجبة تدفع صاحبها الى عمل من شأنه القضاء على أسباب العجز أو مصادره .. ؟ ان المتهم فى هذه الجريمة . يجيب على هذين السؤالين !

اسمى سمير على فضل « المظلوم » ! والمظلوم هذه ليست تكملة الاسم ، ولكنها صفة لواقع أليم .. فمنذ أن وعيت الحياة ، والظلم نصيبى من كل من يلقانى .. حتى الاولاد الصغار كانوا يتعلمون الظلم فى .. كل يوم يمر بى يضاعف من احساسى بالظلم ، ويكثفه .. فلما تكاثر ، وحاصرنى ، وأطبق على ، وخيل لى انه من حقى ان أدافع عن نفسى . فشلت محاولتى .. نسيت ان ظلم المجتمع لى أصبح عملا مشروعا .. يشكل خروجى عليه جريمة .. يحاسبنى عليها القانون .. !

« هات يا سمير .. حاضر .. روح يا سمير .. حاضر .. تعال يا سمير .. حاضر » طول عمرى ، وأنا مثال الطاعة ، والانصياع .. لم يحدث أن خرجت مرة .. او ثرت مرة .. أو قلت لا .. حينما وعيت الحياة ،

وجدت أمي متزوجة من رجل غير أبي ، ولها منه عدة أولاد .. كان على أن أعمل فى « مسبك للمعادن » وأنا في السادسة من عمرى .. أواصل الليل بالنهار، وأحمل على ظهرى ، وأسحب أحمالا من الحديد ينوء بهـــا أقوى الرجال .. كل ذلك مقـابل جنيهين فى الاسبوع لوالدتى .. لكى تعـــول أولادها ، كان ذلك فى أول الخمسينات .. فأنا من مواليد ١٩٤٢ ، ولم يكن فى ذلك الوقت من لا يغربه منظرى بأن يظلمنى الاسطوات . صاحب الورشة . الذين يتعاملون مع « المسبك » . « البقال » الذى أشترى منه ..

احساسى بالظلم زاد ، وترسب ، وأنا أجتاز طـور المراهقة .. لم يشأ صاحب « المسبك » أن يرفع أجرى عن أيام الطفولة .. ولم يعد الاجر يكفينى كل أسبوع .. تشجعت ، وقلت له أن الاجر لم يعد يكفينى .. فقال لى أن باب « المسبك » يتسع لخروج من يريد الخروج ..!

خرجت شبه مطرود ، لاننى طالبت برفع الاجر وذلك « ذنب » لا يكفره الا الطرد ، وظللت بضعة أسابيع ضحية لبطــالة سيئة .. ثم التحقت بعمل فى ورشة لتصنيع البلاط .. وبدأت العمل على ماكينة الانتاج .. وكنت أكسب فى يوم العمل جنيها فى أوائل الخمسينات ، وكان الجنيه يومها له قيمته وكرامته .. وفى عام ١٩٦٧ كان عمرى ٢٥ عاما ، وبدأت والدتى تبحث لى عن زوجة ، ولما كان أجرى كله يضيع على أولادها . لذلك كنت أعيش فى حدود ضيقة ، ولم يكن لدى ما أقتصده ، ورأت أن تكون الزيجـــة فى حدود لا ترهق الميزانية الضئيلة .

فخطبت لى زوجة مطلقة من « درب شغلان » كانت قد طلقت لانها لا تنجب ، أخفو عنى هذه الحقيقة ، وزفونى اليها فى غرفة استأجرتها فى « سوق الليمون » . وبدأت معها حياة زوجية طيبة .. لم يكن يفسد علينا حياتنا سوى زيارات والدتها لنا .. ما من مرة تزورنا الا وتخلق لنا مشكلة ، وقبل انقضاء العام .. كانت أمها تطالبنى بطلاقها .. لكنى قلت لها ـ لزوجتى ـ هل أنت تريدين الطلاق .. ؟ قالت لا ، ولكن أمى هى أبقى لى من أى زوج .. !!

وحتى أخلص من المشكلة . سافرت الى « أسوان » كنت أرجو أن أعود بقدر من المال يساعدنى على مواجهة المشاكل . الا أن أمها انتهزت فرصة غيابى ، وأقامت دعوى طلاق بسبب غيابى ، وحصلت لها على الطلاق ، فلمـــــا عدت بعد عام واحد ، ومعى بعض النقود التى ادخرتهـــــا ، وجــدت زوجتى طلقت منى ، وتزوجت بغيرى .. !

فى الشتاء الماضى ، كنت أتردد على والدتى قالت لى : أن جارة لها دلتها على ابنة حلال أهلهـــا يسكنون خلف « سوق الخضار » .

ذهبت مع سيدة تدعى « أم على » .. فرحب بنا والد العروس بائع ألبان وتراه لاول مرة فتشـــــعر أنه من المحترمين .. رأيت العروس التى هى « عواطف » .. أعترف لك أن جمالها « لطشنى » من أول نظرة لم تكن قد تجاوزت العشرين ، ومع ذلك قالوا لى أنها مطلقة .. تزوجت من ابن عمة لهـــــا ، وتراكمت المشاكل لصلة

القرابة ، واضطر أن يطلقها ، ولكن مالى أنا ومال ابن عمتها .. أنها أجمل من أي عروس لم يسبق لهـــــا الزواج .. هذه الفـــاتنة . انجبت ابضا ابنة لكن الله اختارها ، واصبحت خالية . .ومعنى ذلك أننى عثرت على زيجة رخيصة ، وجميلة ، وبنت ناس .. !!

« هات يا سمير .. حاضر .. روح يا سمير .. حاضر .. تعال يا سمير .. حاضر .. » .

وكان على أن أشترى لها « دولاب » ، و « سرير » ، و « كنبة » ، ولم أقل لا .. فقط سألت .. ما دامت كانت متزوجة فأين ذهب أثاثها القديم ؟ .. قالت لى والدتها .. انت لا تسأل .. نحن فقط الذين من حقنا السؤال .. انت فى الاربعين ، والبنت غير راضية عنك .. ونحن نحاول أن نرضيها .. « احمد ربك » ، ونفذ ما نقول لك عليه وبعد أيام كان كل شىء جاهزا ، وبقيت مشكلة الغرفة المأوى ، وقالت هى أن سيدة صاحبة منزل فى قلب حارتهم .. قبلت أن تعطينا غرفة حتى قبل « عيد رمضان » لان ابنتها سوف تتزوج ، وعلينا أن نجد غرفة قبل هذا الموعد .. !

جمعتنا الغرفة كانت الليلة الاولى الباب الذى وصلت منه الى طريق شقائى .. كنت متزوجا قبلها لكن الاولى لم تكن مثلها ، ولا أية امرأة لم تكن على قـــدر ظنى « كعو طف » .. عواطف كانت صغيرة ، وجميلة ، ولها خبرة وتجارب أضعاف أضعاف عمرها .. بعد شهر واحد أدركت كما تدرك أية امرأة أنها لن تحمل منى ، وانهالت

على تقريعا .. فى جرأة مفزعة كأن الحمل بيـدى ، وأنا منعتها منه برغبتى .. قالت وهى تؤنبنى .. « انها عدلت عن تناول « البرشام » منـذ أن تزوجتنى فلماذا لم تحمل .. » لابد أن الامر من عندى .. ! وان على ان أذهب الى مستشفى لكى يقوم الطبيب بالتحليل لى ..؟ ونسيت وهى تأمرنى بهـذا أنها تعترف بأمر خطير .. « لقد كنت غير متزوجة يا عواطف ؟ » فلمـاذا كنت تتعاطين « برشام » منع الحمل .. ؟

قلت لها ذلك .. فقالت .. ان هذا الامر لا يعنيك ! اذا كنت رجلا فأذهب وحلل .. !

ووعدتها بأننى سـوف أحلل ، وعدت اليها بعد أيام ، وكذبت عليها .. قلت لهـا أننى حللت فى « مستشفى احمد ماهر » .. وقال لى الطبيب ان عظـامى مسـتها رطوبة قاسية ، وكتب لى « بعض الحقن » الغالية الثمن .

عدت من الخارج ذات يوم . فوجدتها تجلس مع ابن « أم على » بجواره على الاريكة ، وقد التحم جسماهما ، وهى ترتدى ، قميص نوم .. ضم ثدييها ، وأبرزهما ، ودقق وسطها ، وكشف عن مفاتن ذراعيها ، وساقيها ، وعندما رأتنى أدخل الغرفة . حدثتنى وهى على ما هى عليه من وضع مثير .. وخجل « على » ابن « أم على » فقام يغادر الغرفة ، وهو يقول انه سوف يعود فى الغد ، وثار الدم فى عروقى ، واضطربت أعصابى . وأحسست بالغضب يرعش كل عضو فى جسدى .. فقلت لها .. من هذا .. ؟ ولماذا كنت تجلسين معه ، وأنت بهـذه الملابس شبه العارية ؟

بعد أيام جاء والدها ، وقال لى أنه بنى بيتـــا فى « امبابة » .. الطابق الاول منه ، ولم يركب له بعـد الابواب ، ولا النوافذ ، وليس أمامى الا الانتقال الى هناك .. لكن « امبابة » هذه يسكنها طليقها « عربى » .. فلما اعترضت .. صاحت فى أن « عربى » هذا ابن عمتها اولا ، وانه رجل بكل معنى الكلمة .. فقد حملت منه منذ أول شهر .. اما انا فعاجز عن اعطـائها الجنـين الذى تتمناه ، وقلت لها ان هذا لا يجب أن يتكرر منها ... ولان ذلك أمر الله .. فصاحت فى ثورة .. انه يجب ان اتركها وشانها . لان الله لا يرضى أن تعيش هى مع زوج عاجز .. !

أمام البيت مباشرة .. كان قدرى ينتظرنى .. شاب فى الثلاثين يبيع « موازين » ، وليس له من عمل سوى مغازلة « عواطف » والكلام معها .. وأعود فى الساعة الخامسة مساء .. فأجدها تجلس على الباب ، وهـو امامها ، وهى فى ثياب فاضحة ، وربطت منديلهـــا على جبهتها ، وفى فمها لبانة ، وهو يشرب المعسل أمامها ..

أنا أدرك جيدا أنها ارتبطت معه بعلاقة .. بدليل النور الذى أدخله لها من حانوته .. والنقود التى كان ينفقهـا عليها ، وفى كل يوم اجد معها نقودا لم اتركها .. فتقول انها تعثر على نقود فى الطـــريق ، وذات يوم وجدت جنيهين ملفوفين على بعضهما .. كيف يحدث ذلك ؟ .. واذا فتحت فمى تصيح .. طلقنى اذا كنت تشـك فى أخلاقى ! .. قلت لها « بتاع الموازين لا يجب أن تتحدثى معه » كان ردها .. انه انسان رجل .. وان ظفره يساوى

عشرة من أمثالى ، فهو تزوج ومنـذ أول شهر حملت زوجته ليس على وجه الارض من هوة خيبتى !!

أحسست اننى انتهيت كرجل ، كانسان ، وكشىء له وجود فى حياة المرأة التى يفترض فيها انها زوجتى ، ومع ذلك قلت لنفسى أن هذا قدرى . وليس فى الامر جديد على .. ظلم مستمر ، ومتواصل .. الى ان كانت ليلة الثلاثاء .. عدت من العمل . كانت تجلس على الباب تتحدث معه كالعادة .. عندما رأتنى دخلت ، وقلت لها ونحن فى البيت .. هل مازلت مصرة على الحديث معه ؟ فأجابت : لا يجب ان أتكلم فى هذا . لانها حرة فيما تفعله لكى تحصل على حمل كبقية السيدات .

ثم قالت تواصل حديثها .. انهـــا الآن فى منزل والدها ، وان على ان اطلقها ، واحمل ملابسى ، واتوكل على الله .. لانها سوف تتزوج « عادل » الموازينى . وكل ما ترجوه منى الا أدخل « امبابة » فى الغد .. عند عودتى من العمل سـوف أجد من يحمل مـلابسى ، وينتظرنى بها ..

كل ساعات هذه الليلة .. قضتها فى املاء شروطها .. يجب أن أطلق حتى تنتهى عدة طلاقها على باب « عيـد رمضان » فتتزوج من « عادل » ، واذا كنت احفظ الود والعشرة فيجب ألا أؤجل طلاقها أكثر من هذا .. طول الليل وهى تذكرنى بالطلاق .

وفى الليل أدركنى التعب فنمت .. استيقظت صباحا فلم أجدها بجانبى .. هممت بفتح باب الغرفة . فاذا به

مغلق من الخارج .. طرقت الباب وناديت عليها .. جاءت ففتحت لى . قالت انها ذهبت الى دورة المياه .. نظرت الى الصالة .. كانت بطانية مفروشة على الارض ، وعليها آثار نيام غادروها حديثا .. وكان فى يدها مفتاح الباب الخارجى أيضا !! ومع ذلك تجاهلت كل ذلك ..

قلت لها « يا عواطف » .. هل فى البيت ما يصلح للافطار .. ؟ صاحت فى كأننى أشعلت فيها النار .. تطالب بالطلاق ، وأنها تعتبر نفسها من الآن مطلقة ، وعلى أن احمل ملابسى معى فورا ، ولا داعى للانتظار حتى اخر النهار .. !

على « النمليـــــة » كانت السـكين تلمــع ، فتناولتها ، وهويت بها عليها فجرت تحاول الخروج .. ادركتها السكين فى ظهرها . سقطت على الارض سقطت فوقها خشيت أن تنقلب على فتقتلنى .. تمكنت من عنقها .. خنقتها حتى خرج لسانها .. بجانبى كانت لمبة الجاز .. سكبتها عليها وأشعلت النار فى شعرها .. لكى اتأكد انها ماتت .. وكانت فعلا قد سكتت الى الابد .. !

بعدها خرجت الى العمـل ، ولكن فى الطريق عدلت طريقى ، ودخلت مديرية الامن التقيت بمـدير المبـاحث العقيد حلمى الفقى ، ورئيس المبـاحث العقيد ابراهيم راسخ .. قلت لهما القصـــة .. أرسلونى مرة اخرى للمعاينة مع العقيد محسن جبر ، والرائد فكرى النواوى ووكيل النيابة محمد العسكرى وقمت بتمثيل الموقف كله امامهم من جديد .. اننى مظلوم حاولت مرة ان ارفع الظلم .. كان فى وسعى أن اعيش كما يعيش الناس .. لكنى اردت أن اقول مرة واحدة .. لا .. !!

أحـــلام مهـاجـر

القاتل فى جريمة مقتل الايطالية .. شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة .. هو القاتل فى كل جريمة .. منذ أول جريمة قتل على الارض .. هو قاتل الامس ، واليوم والغد .. انسان معكوس العواطف .. ملتوى النزعات.. صرعته صدمة المدنية ، بهرته الاضواء الضخمة .. فكان قاتلا مع اختلاف الاسباب .. لكن النتيجة واحدة .. فى كل زمان ومكان .. انسان يقتل انسانا .. فى لحظة ضعف . مجنونة .. كانت تتربص به : فافترسته طرحت عنه آدميته .. بالخوف .. بالحقد والانتقام ! .. وتموت رغبته الجامحة فى القتل .. مع اخر انفاس الضحية فاذا به أول من يبكى ضحيته .. واذا به يطارد نفسه .. يود لو انفلت من جسده .. يستبشع ما ارتكبه .. يتمنى لو أنه لم يفعل . لكن الجريمة وقعت والضحية ذهبت .. ولابد من القصاص .

***

« ناصر » لم يتعـــد العشرين .. جاء من « ميت مسعود » .. احدى قرى « شبين الكوم » .. ريفى من

الرأس الى القدم .. وصل الى القاهرة منذ اربعة اشهر .. وكانت مصيبته انه وجد عملا فى شارع عبد الخالق ثروت .. ! بعد أن بلغ العشرين ، وتزوج وهو لا يرى سوى الحقل ، والساقية ، والقرى المجاورة على احسن الحالات ، ومركز « شبين الكوم » .. بعد أن اصبح رجلا .. فجأة وبلا مقدمات .. يجد نفسه فى شارع عبد الخالق ثروت فى حدقة عين القاهرة !

فى القرية كان عمله الى جانب الفلاحة .. اصلاح الاحذية مع والده .. منذ أن ولد ولا عمل له الا الحانوت ، والحقل .. وحينما زوجه والده بزوجته « هانم » .. كان يأمل أن يربطه بالقرية اكثر ، ويزيد من احتمالات عوامل عدم هجرته .. لانه يعتقد تماما .. انها المكان الطبيعى له ، وأنه لو هاجر الى مدينة كبيرة فسوف يضيع .. وينتهى ، لانه لم يؤهل الا لحياة القرية .. ومن خلالها تنبع وتصب كل افكاره ..!

لكن « لهانم » شقيقة .. متزوجة من فلاح هاجر الى القاهرة ، ووجد عملا ، واستأجر غرفة واشترى اثاثا ، واشترى تليفزيونا ، واشترى قراريط من اخواته .. وبعد عام من الزواج .. انجبت « هانم » ولدا .. وبدات تصب فى ذهن « ناصر » أنهم لابد أن يهاجروا الى القاهرة .. القرية ليس بها ما يحقق أحلامها .. والده يريد ان يربطه الى جانبه .. وهى لديها أحلام اكبر من القرية .. اكبر من الاكل والشرب .. اكبر من اصلاح الاحذية ، والعمل فى الحقول .. لماذا لا يكون لها كشقيقتها شقة فى القاهرة ، وفيها الاثاث والتليفزيون ، والاشياء

الاخرى التى لم تعرف اسماؤها بعد .. ! ويذهب ابنهما « محمد » الى المدرسة .. !! تصور يا « ناصر » انت فى شـــــقة وابنك يذهب الى المدرسة .. ! وتصور يا « ناصر » ، وذهب يلح على زوج شقيقة زوجته .. لكى يجد له عملا بالقاهرة .. أى عمل .. !!

وتزف البشرى شقيقتها اليها ذات يوم .. هيـــــا « يا هانم » العمل موجود فى القاهرة ، وأنا عثرت لكم على غرفة في عزبة عثمان بشبرا البلد .. تعالى أنت وزوجك وسوف يجد العمل .. واهتزت أعطاف « ناصر » وكاد يرقص فرحا .. فلم يكن قد رأى القاهرة حتى الان ... وفاتح والده .. لقد وجد العمل والسكن فى القاهرة ، وهو لا مستقبل له فى القرية لقد وسعت فى الماضي احلام والده، وأمه .. لكنها أضيق من أحلام زوجته وأحلامه ، وبكى الاب .. جرت دموعه على خديه .. فهو لم يتعود فراقه .. لكنه تحامل ، وتمتم وهو يودعه .. لم يعـــرف « ناصر » هل دعا له أم دعا عليه !؟؟

وحط رحاله فى أول الشتاء .. منذ أربعة أشهر فى القاهرة .. وركب الترام لاول مرة مع « نسيبه » من شبرا .. وحينما رأى العمارات الشاهقة .. دار رأسه، واختلط كل شيء فى ذهنه .. واخذه « نسيبه » الى شارع عبد الخالق ثروت .. وكاد « ناصر » يفقد عقله.. السيارات .. العمـــارات .. المحلات .. المعروضات النظيفة ، والســيدات الجميلات .. لابد انه يحلم .. سوف يعيش هنا .. يرى كل هذا بصفة مستمرة ..

كل يوم .. ان ذلك كثيرا جدا .. يكفيه فقط أن يعيش .. لا يريد أجورا .. كل شيء هنـــا لامع ، ونظيف ، وجميل ، ويبتسم .. !!

احد بوابى العمارات فى شارع عبد الخالق ثروت .. كان فى حاجة الى شاب .. يعمل فى مساعدته .. سريع الحركة .. يستطيع أن يلبى طلبات السكان ، وأن يعتنى بالسلم ، وأن يقوم بتنظيف الشقق للسكان أحيانا، ومن أجل ذلك .. ناشد نسيب « ناصر » أن يأتيه به .. ! وحينما يعود الى الغرفة التى يسكنها مع « هانم » فى عزبة عثمان .. يهدهد ولده « محمد » ويحلم بالمستقبل الباهر الذى ينتظر الاسرة السعيد كلهـــا التى وجدت عيشا طيبا فى القاهرة .. !

ويوما بعد يوم بدأت أحلامه تكبر فى جوانحــه .. بالامس دعته احدى الساكنات لينظف لها الشـــقة .. رأى عجبا .. رأى أثاثا لا يعـرف اسمه .. رأى أطعمة كثيرة لا يعرف اسمها أيضـــا .. رأى ملابس لا يعرف اسمها .. انه ما عرف شـــيئا طوال حياته فى القرية عشرون عاما ضاعت من عمره هبـــاء .. انه الآن يتعلم أسماء الاشياء كطفل لم يتعلم الكلام بعد .. لكن هـذا الطفل له جسم ثور .. ماذا لو أصبح هو و « هانم » وابنه فى حياة كهذه.. ان ذلك ليس ببعيد على الله .. فقط لابد ان يفتح عينيه على آخرها ؛ وينظر حوله ، ويكسب كما يفعل الآخرون .. !

بعد أيام أخرى .. دعته ساكنة عجوز .. لكى ينظف لها مسكنها الواسع .. الانيق الذى تعيش فيه بمفردها .

وتنقل بين الغرف ، ونظف ، و « مسح ، وكنس » ، واعطته السيدة طعاما ، وفاكهة عاد بها الى « هانم » .. لكنه كان قد فقد نصف عقله أنه يهذى معها طول الوقت بما رآه ..

أستمعت « هانم » اليه ، وردت عليه . . بأنه يحلم بشدة .. ولابد أن يعيش فى الواقع .. اذ من الجائز أن تفقده الاحلام عقله .. وتكون كارثة عليها فقط .. لانه ساعتها سيكون فى نعيم المجانين .. ! والقى عليها نظرة سخرية من عدم ايمانها بطموحه .. !

اعتاد الدخول عند العجوز ، وتنظيف مسكنها .. وكانت تجزل له العطاء .. تعبيرا عن تقديرها لاخلاصه فى العمل .. وفى آخر مرة .. كانت الساعة الثامنة صباحا .. حمل المقاعد ، والمناضد .. والسجاد الذى فى غرفة النوم .. ثم بدأ ينظفها ، وهى تشرف عليه .. وتساعده أحيانا .. ثم خرج الى الصالة .. كانت فى المطبخ تعد القهوة لنفسها .. على منضدة صغيرة فى الصالة .. كانت حافظة نقودها .. وقد تناثر حولهــا بضعة قروش .. جمعها بسرعة ، دفع بها الى جيبه .. كانت العجوز بالصدفة قادمة من المطبخ .. أبصرته يضع القروش فى جيبه .. ساءها ذلك وكانت تظن أنه أمين .. فاجأته فأمسكت بيده قبل أن يخرجها من جيبه .. فقد كل متطلبات الانضـــــباط النفسى .. سوف يطرد من العمارة .. وتسوء سمعته ، ولن يجد عملا ، وقد يعود الى القرية .. وأقسم لها انه لم يكن يسرق .. بل خشى أن تتناثر فجمعها .. يحفظها فى جيبه .. حتى تخرج

من المطبخ فيردها اليها .. لكنها استمرت فى غضبها .. هددته بأنها سوف تتصل بالبوليس ..

اقتربت من التليفون .. رفعت السماعة .. زحف نحوها يتوسل .. حاول منعها من الامساك بالتليفون .. اقسم لها مرة أخرى .. هددته بأنها سوف تصيح وتملأ العمارة صياحا .. على نفس المنضـــــدة كانت بضعة « مسامير » ، و « شاكوش » كانت المرأة تعمل على اصلاحها .. تناول « الشاكوش » .. التحم بها يمنعها من الامساك ، وطلب الشرطة ، وقبض على يدها بيده .. حتى لا تحرك السماعة .. و « بالشاكوش » الذى كان فى يده الاخرى .. « نقرها » بكل خوفه ؛ وكل اضطرابه، على أم راسها .. !

ذهلت العجوز .. صدمت .. فزعت كل الفزع .. الشاب قوى .. تحول الى ثور هائج .. يده كالآلة .. اصبح مخيفا .. كل ما فيه يرتعد .. هوت الضربة على رأسها .. اظلمت الدنيا .. طار وعيها ؛ وترنحت .. تلوح بيديهـــا .. ثم هوت الى الارض .. وانبثق الدم غزيرا .. هكذا فى لحظة كانت ممددة .. تجـــرى من جانب فى رأسها الدماء .. وهو فى ذهول تام .. عاشه لحظة لا يدرى .. أن طالت ام قصرت ؟ .. بقى واقفا كأنه تمثال من الشمع .. الا انه شعر بالاختناق .. ظن انها ستقوم لكنها لم تقم .. هل ماتت .. ؟ أم لا .. ؟

وارهقه التفكير .. فان عقله المضطرب لم يعقل شيئا .. راح يتحرك نحو الحمام .. اغلق الباب عليه رغم انه لم يعد فى الشقة غيره .. ازال ضرورته .. لعله يجـد

الراحة بعدها .. أو يصل تفكيره الى شيء .. لكن لفت نظره « الليفة » فى الحوض فكر فى أن يدفع بها الى فم العجوز .. فاذا كانت حية .. تخلصت منها ، واذا كانت ميتة فسوف يتأكد .. !

خرج الى الصالة .. لم يجدها مكانها .. فوجىء ، دقق النظر .. كانت ملقاة لم تبرح مكانها .. ارتفعت دقات قلبه بعد أن كانت هدأت .. عاوده الذهول .. دفع « بالليفة » فى فمها .. تأكد أنها ماتت .. !

ازداد فزعا لموتها .. لان المسألة تعقدت .. لكن للحظة .. حمد الله .. لان أحد لن يقول عنه أنه قتلها .. أما هو فلن يقول عن نفسه .. سوف يغادر الشقة .. يغلقها فى هدوء ويمضى .. لم يفكر فى رفع سماعة التليفون .. فهذا تفكير حضارى لا يعرفه .. وتهيأ لكى يغادر الشقة .. لكنه توقف .. لماذا لا يأخذ معه بعض الاشياء التى كان يحلم بها .. لا أحد يقف فى طريقه الآن .. التليفزيون .. المسجل ـ أشياء أخرى ـ ملابس ايضا ـ هيا يا « ناصر » وجرى الى الداخل فجاء بحقيبة ، وبدأ يضع فيها الاشياء وفتح الدولاب فوجد مائة جنيه .. أخذها ، وحمـــل الحقيبة .. وأغلق الباب ، ومضى .. لم يره « البواب » وفى الشارع استأجر تاكسيا .. ذهب به الى شبرا الخيمة .. استقبلته « هانم » .. مذهولة .. قال لها .. ان أحد العرب .. أعطاهم له .. بمناسبة سفره .. وأعطاه ايضا مائة .. جنيه .. أخيرا سوف تتحقق بعض الاحلام .. قال لها .. أرأيت ياهانم .. ؟؟ كل ماكنت أحلم به سوف يتحقق .. اشترى لنا « دبكا روميا » .. !!

وعاد الى العمل مع « البواب » .. لم ينقطع عن العمل فى اليوم الاول ، ولا فى اليوم الثانى .. وفى اليوم الثالث لم يذهب الى العمل .. حمل بعض الاشياء التى جاء بها الى قريته .. لعله يجد هناك من يشتريها .. فقد أيقن ان الخطر بعد عنه تماما ..

اتصلت صديقة لها بها تليفونيا .. لفت نظرها انهـــا لا ترد .. فى كل ساعات النهار .. جاءت تسأل .. فتحوا الباب .. اكتشفت الجريمة .

اللواء صلاح أمين مدير أمن القاهرة .. شهد المعاينة الاولى التى أجراها العميد عباس العـاصى مدير البحث الجنائى ، والعقيد عبد الهادى مخيمر .. ثم وضعت خطة البحث للوصول الى الجانى ونفذ الخطة ، وأشرف عليها العقيد محمد السيد ، والمقدم محمد ابراهيم .. وجىء بالقاتل « ناصر » من قريته ، وبدأ يعترف .. !!

عـاشـق الأحـلام

رائحة الاصالة النفاذة ، ما زالت تفوح من « حارة الروم » الكائنة فى حى « الدرب الاحمر » العتيق،والتاريخ على أعتاب بيوتها .. فى المنازل التى يشد بعضها بعضا ، ويتكىء بعضها على بعض أحيانا .. والناس هنا يعشقون الله ، والحب ، سيدنا الحسين ، وعواطفهم حادة ، وألسنتهم أحد ، وقلوبهم بيضاء ، واصواتهم عالية .. ومع النبرات العالية .. يفقدون أحيانا حبهم ، وأحباءهم .. فى هجمة لمواجهة عاتية من الانفعالات الحادة .. يعودون بعدها الى طبيعتهم الاولى .. يغفرون ، يستغفرون .. !

والولد « محمد ابراهيم » الذى لم يصل بعد الى العشرين .. الابن الاصغر لاسرة من آلاف الاسر التى تسكن الحارة .. والده يعمل فى مقهى بلدى ، وشقيقه الاكبر يعمل « فرانا » والثانى يساعده فى مخبز بمصر الجديدة ، وهو لم « يفلح » فى المدارس على حد تعبير والده .. فترك المدرسة بعد السنة السادسة الابتدائية ، والتحق يعمل بحيه .. هو صبى فى محل « فطاطرى » يقف على ناصية « حارة الروم » .. فى هذا الحانوت بدا

يكبر .. وبدات عواطفـــه تتفتح فى عنف على مداعبات الفتيات المراهقات اللاتى يشترين منه الفطير فتيات لم تنضج أعوادهن بعد .. لكنهن يرتدين الملاءات لكى يعطين لانفسهن منظر الانوثة الناضجة التى يجب أن تستتر .. « والولد » يصل الى الثامنة عشرة ، ويدق قلبه ، ويرقص بين ضلوعه ، ويصفق كطفل صغير يستقبل أمه .. كلمـا جاءت الفتاة « شادية » .. اذا مرت فى الشارع من أمامه او وقفت تشترى منه .. أحس أنها أقرب اليه من أية فتاة أخرى .. فى ملامحها أكثر من شىء يشده اليها .. احيانا تبتسم ، وأحيانا تبخل بالابتسام .. ولكنها فى الحالتين تعطيه سيلا من عينيها .. يسعده ألا يحرم منه .. وهو فى حالة الغضب يسعده كالرضا تماما .. لا يشك فى أنها تحفل به .. لا تهتم اهتماما خاصا به ، ولكنها أيضـا لا تلغيه من وجودها .. وذلك يكفيه .. فهو لا يطمع فى اكثر من ذلك .. لان والده حطم فى أعماقه كل طموح .. كان يراهن على أنه لن يصير رجلا يوما من الايام ، أنه لا خير فيه على الاطلاق .. طالما لا يريد أن يستمع الى كلامه ، ويعمل مع شقيقيه فى « الافران » .. وكان ينفر بطبيعته من عمل « الافران » .. ومن أجل هذا الضياع الذى كان يلقاه من والده .. راح يحلم بأن « شادية » تهتم به .. يستجدى الاهمية .. يتصورها .. يتخيلها حتى اذا لم تكن موجودة .. وعلى هذا الفرض الذى فرضه .. يحلم ، ويرسم القصور فى رياح أحلام المستقبل ..

منذ يومين فقط .. راقبها وهى تخطو أمام حانوت « الفطير » .. أحست بعينيه وهما يحيطانها ـ هكذا خيل

اليه ـ بعد أن تجاوزت الحانوت .. عادت وهي تغرس فيه عينيها .. عتاب .. أو عراك صامت .. لكنها طلبت منه .. أن يعد لها « فطيرة » ، ورحب بها ترحيبا .. أشعرها أنها ليست عنـــــده كالاخريات .. أحست أنه لا يتبعها بعينيه فقط ، وانما بقلبه أيضا .. وحينما كانت تستوى « الفطيرة » على النار .. كان يشوى ملامحها بنار عينيه .. فلما ناولها له العامل الذى أمام «الفرن».. لفها هو بعناية ووضع لها السكر مضاعفا .. ثم قدمهـــا لها .. وأصرت على أن تدفع ثمنها .. لكنه قال أنها هدية منه .. تمنعت .. رفضت .. أصرت على أن تدفع .. توسل اليها ضارعا بعينيه .. الا تحطم أمله .. واحمر وجهها .. ارتبكت .. فردت ملاءتها وعادت تحبكها حول جسدها الرائع .. وأخذت « الفطيرة » ومضت .. وهى تتمتم .. وأحس أن قلبه فى داخله يضحك كطفل .. !

صنع من هذه الواقعة عالمه الوردى الذى يعيش فيه.. وجد نفسه .. فهو ليس تافها .. ضائعا .. كما يقول والده .. ها هو يكشف ان فى الحارة من تهتم به من البنات .. بل أجمل بنات الحارة .. تفكر فيه ، وتريد أن يكون رجلها الذى تعيش فى كنفه .. وقال لها ذات مرة .. أن حانوت « الفطير » .. أضيق من أحلامه أصغر من آماله .. الاجر هنا ضعيف ، والحياة رتيبة .. بطيئة .. سوف يبحث عن عمل .. يتيح له كسبا أكثر وأعلن صاحب حانوت « الفطير » .. ووجد فى اليوم الثانى عملا على سيارة نقل مع أحد السائقين .. كان العمل الجديد شيئا مسليا ، ومتعبا .

كان الحلم فى قصته مع « شادية » اكبر من الواقع .. وكان يحب الاحلام .. ويرتاح اليها .. لانهــا تطاوعه ، ويخلقها على هواه .. ورأى رجلا يبيع الخاتم بخمسة قروش .. فاشترى واحدا ووضعه فى أصبعه ، واعتبر نفسه خطيبا « لشادية » وفعل كما يفعل الخاطبون ... لا يملأ بصره من أنثى ، ويتحدث كثيرا عن خطيبته ، ويؤكد لنفسه وللناس .. انه ليس فى الوجــــود من هى على مستوى خطيبته عقلا وجمالا ، وحكمة .. !

لكن هذا العمل جعله بعيدا عن الحارة .. وقد يقـــع لها فى الحارة مالا نعلمه .. فالشبان كلهم يحلمون بها .. كل على طريقته .. غير انها كانت تلقاه فى مكان عمله بشارع الازهر ، وتتحدث اليه طويلا ، ويتحدث اليها ، وقد يكون صيفا فيشربان « سطلين » من « الخروب » عند بائع « الخروب » أو شتاء فيشربان عصير القصب .. ويحلمان معا ببيت المستقبل .

وذات يوم فاجأه شاب من الحارة يعرفه جيدا .. كان يجلس سارحا فوق الطرود ينتظر السيارة .. عندما ضرب بيده على كتفه .. فالتفت ليجده .. رحب به فهو ابن حارته .. لكن الشاب كان الغضب .. يتطاير من عينيه .. قال له .. ان عليه ان يترك « شادية » فهى له وهو لها من زمن بعيد .. ارتبك .. تلجلج .. تمالك اخيرا نفسه .. خرج من المفاجأة .. صاح فيه .. انه يكذب .. يلفق .. يدعى .. تماسكا .. تضاربا . أخرج الولد مطواة .. طعنه فى ذراعه وفر هاربا .. الطعنة لم تكن خطيرة .. ولكن معناها كان أخطر منها .. سألها

عن مدى صدق « الولد » في روايته .. فكذبته . أقسمت له أنه ليس فى روايته شيء من الحقيقة .

صدق ما حدثته به نفسه .. ابتعد عن الحارة ، ولم يعد يعرف ماذا يجرى هناك .. انه لا يذهب الا ليغير ملابسه ، وينام .. ليله ونهاره فوق السيارة النقل .. يجيء الى مكتب الازهر عقب كل سفر .. وهى تنقل اليه كل أخبار الحارة .. تقول له ما تريد ، وتتغاضى عن كل ما لا تريد .. انهم يحسدونه .. كل شبان الحارة لا شك يحسدونه .. لانه فاز بهـــا لقد غير أسلوب حياته من أجلها .. لولاها والتفكير فيهـا ما خرج من الحارة .. ما فكر فى أن يحترف هذه المهنة التى هدت قواه .. لكنه يرجو أن يتحول من « عتال » الى سائق فى القريب العاجل .. بعدها يصبح جديراً بأن يكون زوجا «لشادية» .. وفى كل مرة يخطر بباله البيت ، وخيـــل اليه أنه خطبها رسميا ، وأن أهلها وافقوا ..!

كانت الاحلام ترضيه ، وكان يسعده ان يعيش بها .. فهى طوع يديه ، وليس لهـــا قسوة الواقع .. سوف يتحول كل ذلك الى حقيقة خلال أيام أو شهور أو سنة واحدة على الاكثر .. وانتهت قصة « الولد » الذى طعنه بأن طلب للجيش ، ولم يعد فى الحارة من الحـاقدين أو الحاسدين من يؤرق حياته .. !

لكن الايام تمضي ، والانتظار يطول .. والنسيج الذى كان متماسكا يتمزق ، والاحلام عصية لا تريد أن تتحقق .. المبلغ الضخم لا يريد أن يأتى ، والجنيهات الضئيلة التى يكسبها من عمله تذهب .. بين مصروفاته وملابسه

.. وهى يطرق الخطاب بابها كل يوم .. ترغم على الا تلقاه ، وتخلف معه الوعد بعد الوعد .. ويعتب فى قسوة حتى يغضبها .. لكنه يسرع يسترضيها حتى لا تغضب ، وتسأله فى صراحة .. لماذا لا يدخل والده فى الامر .. قد يتمكن من مساعدته .. ويستحى أن يقـول لها رأى والده فيه .. أنه لن يجرؤ حتى على مجرد مفاتحته .. فضلا عن طلب مساعدته .. لكن ما ذنبها هى .. وماذا يقول للأهل الذين يلحون عليها فى أن تقبل عريسا .. ؟ وهل يمكن أن تنتظره حتى يشيب الغراب .. ؟ ما معنى هذه الجملة .. لقد قالتها له فى آخر لقاء .. هل تظل تنتظره حتى يشيب الغراب .. ؟ لابد أنها سـمعتها من والدتها .. فهو لا يعرف معناها .. ولم ير الغراب الا فى الصور .. !

وبدأت نذر الشر تتجمع فى أفق علاقتهما .. حتى خيل له ان يخلع خاتم الخطبـــة الوهمى .. لكنه لم يستطع .. تراجع ، ورفض أن يتخلى عن الوهم .. لانه لا يملك الواقع .. واضطر أن يبحث هو عنها .. بعد أن كانت تبحث عنه .. ولكنها كانت تتهرب منه .. فاذا لم يكن من اللقاء مفر .. طالعته بوجه مكفهر .. تسأله أن يعفيها من ملاحقتهـا .. تطلب منه أن ينسى كل ما كان بينهما ..

اخيرا صفعته بالحقيقة .. وقف طويلا .. كان ذلك بجوار جامع الفـورى .. واستند على الجدار .. ورمق الناس ، ولكنه لم يكن يراهم .. اختلطوا كلهم .. صاروا كتلة واحدة .. وأحس انه كعود الحطب المحترق .. لو أن انسانا صدمه لتبدد ، وتلاشى ، وطار فى الهواء !

ليس له الا أن ينتقم .. الانتقام هو الدواء الوحيد الذى يمكن أن يشفيه من الداء الذى أصابته به «شادية» .. وفى مسيرته اليائسة .. وجد نفســـه امام حانوت « البراويز » .. كان قد جاء معها بصورة ليا . وأعطاها للعامل لكى يصنع لها اطارا .. تقــدم اليه .. طلب منه الصورة .. ادعى أنها تريد تكبيرها .. قدمها له العامل .. أخذها وذهب الى المصور، وطلب منه ان يضع بجوارها صورته ، وينقلها فى صورة واحدة .. ونفذ المصور له ما يريد .. وأصبحت الصورة الجديدة تضم الاثنـــين معا .. كأنها أخذت لهما فى وقت واحد .. والتقى بشقيقتها فأعطاها نسخة من الصورة .. وقال لها أن عليها ان تبلغها .. انه اذا لم تعد الى هواه .. فسوف يفضحها فى كل مكان ..

وقف يتسكع فى الحارة أمام منزلها .. غابت شقيقتها بعض الوقت .. ثم عادت معها .. كان اللقاء عاصفا ..

« هو الحب بالعافية » .. جن جنونه .. تفجر كل ذلك .. تصاعد بركان يأسه حتى نهايته .. استل سكينا .. انهال بها عليها .. طعنها فى زراعها .. أحست أنه صدق لاول مرة .. نفذ مرة واحدة تهديده .. جرت .. أسرع خلفها .. دق الســـكين فى ظهرها .. غاصت بين كتفيها .. سقطت على الارض .. فانبطح يجهز عليها .. تحول كل شىء حوله الى جنون .. تراجع الناس ؛ وقفت شقيقتها تصرخ من بعيد .. رأى الدم يتفجر .. شاهد الموت وهو يغزوها .. لمس العدم وهو يطويها .. هرب والسكين فى يده ..

وتلقى العقيد ابراهيم راسخ البلاغ ، وعلى الفور انتقل الى « حارة الروم » العميد عباس العاصى رئيس مباحث القاهرة ، واللواء عبد الحميد منصور مدير المباحث ، وكلفا المقدم عبد المنعم رضوان بالبحث والقبض على العاشق الصغير .. الذى دلت التحريات انه اختفى عند شقيقته فى بولاق الدكرور ، وذهب الى هناك المقدم حمدى سرحان ، والرائد محسن شوقى وعادا به ليعترف أمام النيابة بالتفصيل .. !

رحلة العدم

الجزع يحفر ملامحه في أعماقه من الداخل .. ويؤكد نفسه هلعا يقفز من عينيه .. يمتزج باليأس المقهور .. المقدم على هلاكه في استسلام .. يزلزله الخوف من الموت .. ويجتاحه ليقينه من أنه لا نجاه .. فهو في طريقه الى الموت ، أو لعله مات وما كل هذه الوساوس .. والهواجس سوى عذاب القبر .. !

الا أنه يتنفس .. أحيانا تطرف أجفانه .. تقلصت قوة بصره . أصبحت النظرة كسيحة تتساقط عند الجدران. شهور طالت واتصلت .. لا يبرح تلك الزنزانة .. جاء ليعدم .

سيدور المفتاح يوما .. فجأة في أية لحظة .. وينتزعه اثنان نزعا .. وتخلوا غرفته منه .. كما أخليت غرف ملاصقة له .. يوم لن تغرب شمسه .. الا وقد ورى في قبره .. فهل تراه سيتألم . ؟ سيفزع من ظلمة قبره . ؟ لن يتألم الا لحظة .. ويموت فيفقد احساسه .. فشرط الموت أن يفنى .. !

لحظة واحدة .. يموت فيصير من الوجود الى العدم.. وهي بشكل أو بآخر لن تطول سوى ثوان ..!

اما ماذا يحدث بعد ..؟ فلن يشغل نفســـه بعد الآن .. فمشكلته هي أن يصمد حتى يجتاز الاعدام .. ثم ينتهى كل ما يفزعه .. !

أنه ليس نادما .. لكنه حزين .. لا لانه سيعدم .. لكن لان المجنى عليـــــه الذى قتله .. كان يتمنى الا يقتله ، ولا تنتهى علاقته به على ذلك النحو .. فقد كان صديقه ، وتوام روحه .. على جدران الزنزانة .. التى تلتصـــق بجفونه الآن .. صورة لقائهما .. اللقاء الذى انتهى به الى هنا ، وأرسل الآخر الى العدم .. !

بعد ثلاث سنوات فى ايطاليا .. مارس خلالهـــا كل انواع « الصعلكة » طاف بها من أقصاها الى أقصاها .. يحاول أن يرسم ، وأن يدرس وأن يحصل على اجازته فى الرسم ، وحينما دخل المركب لكى يعود الى « القاهرة » .. فجأة يرى أمامه اسماعيل .. صديق العمر ، ورفيق الصبا .. من أول المرحلة الابتدائية .. حتى حصلا على التوجيهية من العباسية الثانوية .. ثم تفرقت بهما طرق الحياة ..

تعانقا ، وقال له اسماعيل أنه قادم من المانيا .. بعد أن درس هناك الهندسة المعمارية .. ثلاث سنوات كان فى أوروبا ، ولا يلتقى به .. واغرق فى الضحك وهو يقول . ان الله قد فعل بهما ذلك من أجل مستقبلهما .. ! فلو انهما التقيا عند وصولهما لما نجح احدهما ابدا ، فكلاهما حائز على البطولة فى الجدال ، والحوار واستثمار الكلمات ، وتنمية الموضوعات التى لا تنتهى بشىء ..

وفى حرارة اللقـــاء ، ولجة الكلام ، والحوار .. التى

سقطا فيها اكتشف هذه التحفـــة الانسانية النادرة التي تقف على مقربة من « اسماعيل » لابد أن تكون صديقته ؟ أو مسافرة تعرف عليها ..؟ وشد بصره جمالها الاوربي الاخاذ ، وأحس « اسماعيل » أنه جلياطا بما فيه الكفاية.. فهما يتكلمان العربية ، وهي لا تفهم منها شئا .. فاستدار نحوها ، وقال في عجلة كلاما قدمهما فيه الى بعضهما .. وحينما قال أنها زوجته .. أحس هو أنه كان آثما في النظرة الجائعة التي وجهها اليها .. وفي ذات الوقت سقطت قطعة متوهجة منه .. داخل أعماقه المظلمة .. كما تتساقط قطع الشمس ، وتضيع في الكون .. اتراه اشتهاها في هذه الثواني .. ؟ أم ان جمالها الرائع آثاره كرسام .. ؟

ولم يتردد في اطراء جمالها ، وهو يبتسم ، وأجابت هي في زهو الجميلات أن مبالغته مبعثها انه يحول كل شيء الى جميل في لوحاته .. ! وخلال ايام السفر على البـــاخرة لم يفترقوا كل ليلة الا آخر الليل .. وأحس « حسن » باحساس أنكره ألف مرة وحاول أن يهرب منه .. لكنه كان يلاحقه .. ان في عيني مارتا الخضراوين حكاية قديمة له معها .. !

مجنون يا حسن وألف مجنـــــون ، ويتلفت خلفه ، وحواليه ، ويبصق من أعماقه على أعماقه القذرة .. التي تصل بتفكيرها الى هذا الحد .. الذي لا يريد حتى أن يتخيله .. ! فاسماعيل بالنسبة له ليس مجرد صديق ..؟ انه أكثر من شقيق .. فقد كان بينهما .. معا طوال أيام الامتحانات ، وأمه هي أم « اسماعيل » تماما ، وكذلك أم

اسماعيل بالنسبة له .. فكيف يسمح لخياله الجامح المجنون أن يتصور .. أنه يخونه فى مارتا .. !

لكنها جميلة بشكل شاذ ، وهو رسام .. هل يعرف اسماعيل معنى كلمة رسام .. الجمال روحه ، وحياته ، ووجوده ، وفنـاؤه .. ليس بالضرورة أن تدور بينهما قصة حب ، وليس بالضرورة أن يقع بينه وبينها مايقع بين كل رجل يهيم بامرأة .. فهو فوق ذلك كله ـ هكذا قالت له نفسه ـ انه فنان .. كل مايطلبه أن يرى هذا الجمال، ويسجله فى لوحة .. يصب فى ألوانها .. هذا الاعجاب الذى يحسه ، والانبهار الذى يتعذب به .. أمام صناعة البديع المبدع .. هذا الانف الذى يحسـد الهواء الذى يدخله ، والفم الذى يعجب للكلمة تخرج منه .. لو كان كلمة لتعلق بشفتيها يرفض الخـروج .. وهذا الشعر الذهبى المهذب الذى ينسدل فى أدب حول الوجه المستدير .. الطاغى فى جماله .. الديكتاتور فى نظراته .. الباطش فى لفتاته .. !

وأصر حسن على أن يرسمها فى لوحة ، ولم يرفض اسماعيل ، وما كان له أن يرفض .. والتحق باحـدى شركات المقاولات الكبرى وراح يمارس حياته فى القاهرة كمهندس ناجح ينتظـره مستقبل كبير .. وفى خضم مقاولاته استطاع أن يجد العمل الفنى الذى يسنده الى حسن ليكسب من وراءه الآلاف .. وازدادت العـلاقة توطيدا ، وكان من المقدمات التى استنها حسن أن يقضى يوم العطلة معهما .. سواء كان فى رحلة قصيرة الى القناطر الخيرية أو الاهرام او فى سقارة .. ! لابد أن يكون على

مقربة من مارتا .. يطيل النظـــر الى عينيها ؛ يستمتع بكتلة الضوء التى يحيط بها الشعر الاصفر .. كأنه ينظر فى عين الشمس .. تحيط بها هالة الاشـعة .. وخـلال شهور كانت مارتا قد تعلمت العربية ؛ وأصبحت قادرة على التفاهم بها .. وكانت للكلمات التى تخطىء فيهـــا سحر .. يفوق أضعاف كلماتها السليمة .. !

وتصاعد الجنون .. بدأ يشعر أن الاحســـاس الذى يعتريه ليل نهار .. قد انتقل الى مارتا .. بدأت اللحظة التى كان يخافها تقترب .. كان يتمنى صباح مساء .. الا تلحقها عدوى الجنون الذى يكتمه بين ضلوعه منــذ أن رآها فى الباخرة .. !

لكن الطامة ها هى تقترب .. ان القصة التى كانت راقدة فى عينيها بدأت تبعث .. ذات يوم قالت له ؛ ولم يكن اسماعيل معهما .. أنها تشعر بأنه كان فى حياتها قبل اسماعيل .. قفز فى الهواء على طريقته .. ودب الارض بقدميه .. وقال لها أنه أحس بهذا الشعور من أول لحظة التقى بها فيها .. فقالت له ضاحكة .. ولكنك لم تذهب الى ألمانيا أبدا !؟

وأحس بالخطر .. فحاول أن يهرب .. أو يتهرب .. لكن الحصـــار كان مضروبا داخله .. كان يحاصر نفسه بنفسه .. وأرغم ذاته على التوقف .. تراجع خشية على نفسه ، وخوفا على ما بينه وبين صديقه .. كان على ثقة ان ما يولد بينه وبين مارتا هو حب حرام .. لكى يعيش لابد أن يزهق الصداقة .. ! الجنـون يريد أن يقضى على العقل ، ومتى كان العقل يستطيع الصمود أمام الجنون ؟؟!

ومتى كان نور الحق بقادر على صد الظلمات التى تفسح الطريق أمام الباطل .. !

وقضى أكثر من عشرين يوما .. هاربا لا يدخل بيت اسماعيل .. يلقاه فى العمل ، ويتصل به تليفونيا ، ولكنه يعتذر .. مدعيا أن بعض الاعمـــال الخاصة الجانبيـة تستغرقه .. لانه ارتبط بعقود مع اصحابها .. واقتنع اسماعيل .. لكن التى لم تقتنع ، وفطنت الى معاناته هى مارتا .. وذات يوم فوجىء بها .. اقتحمت عليه وحدته .. ملأت المكان المفـــــرق فى الصمت قهقهة ، وغناء ، ورقصا ، وقالت له ما كان يخفيه فى عروقه انك هارب ، ولكن مطلوب القبض عليك باسم الحب .. وقد اتاحت لها فرصة الايام التى قضتها هنا أن تفطن الى تقاليـــد الشرق .. انها سوف تطلب الطــلاق من اسماعيل وبعد ذلك يتزوجان .. وقال لها حسن انه حتى ذلك لا يجوز فى حكم الصداقة التى تربطهمـــــا .. ولكنه ارتاح الى اقتراحها .. قاومه ، ولكنه كان يتمنى أن يحدث ..!

وحذرها من أن تعرض ذلك على اسماعيل .. اذ من الجائز أن يقتلها .. ثم يجىء ليقتله .. فقالت له .. انها سوف تطالب بالطلاق .. مدعية أنها تريد العودة الى بلادها ، وانها تصحح الخطأ الذى وقعت فيه بزواجهـا منه .. وعليه بعد ذلك أن يلحق بها ، ويتزوجها ، ويعيشا فى المانيا .. أو فى استراليا ..؟

وبدأت العلاقات تسوء بين « مارتا » و « اسماعيل » ، وجاء اسماعيل يبكى وهو يقـول له .. ان يرجـوه ان يتدخل . لعله يقنعها بأن تبقى فى القاهرة .. فليس فى

نيته ان يطلقها مهمـــا فعلت .. وهو على استعداد لان يرسلها فى أجازة .. المدة التى تراها . لكن الطلاق يجب الا تفكر فيه .. وحينما طلبت منه أن تسافر رفض لانهـا قد لا تعود .. وأصبحا يعيشان كسجين وسجان ..

ولكن عذابهما ، وهما أصحاب المشكلة .. كان أهون من عذاب « حسن » وهو يشعر أنه كان السبب فى خنق أجمل علاقة كانت بين زوجين .. جمع أوراقه ؛ واستعد للسفر .. رأى أنه لابد أن ينتزع نفسه بعيدا .. فقــد يهدأ كل شيء .. وقرر أن يهرب الى الخـــارج دون أن يودعهما .. وأنهى اجراءات السفر ، وحجز مـكانه على الطائرة .. لم يبق على مغادرته القاهرة سوى ساعات .. عجز .. ضعف .. قرر أن يراها .. ذهب الى منزلهما .. كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة .. دق الجرس .. فتح له « اسماعيل » .. كان فى حالة نفسية سيئة .. سمع أنينها من الداخل .. كانت ملامحه ترسم لحظـــة جنون .. صرخ فيه .. لقد اعترفت لى بكل شيء .. لكنى لن أجعلكما تعيشـان بعــدى .. أسرع الى مكتبه يخـرج المسدس وخشى أن هرب هو .. قتلها وأضاع نفسه .. كان فى وسعه أن يفتح الباب ويخرج .. لكنه أسرع خلفه .. أدركه فى غرفة المكتب .. كان قد دس يده فى الدرج ؛ وأصابعه تبحث عنه .. أحاطه من الخلف بذراعيه .. .. قبضت أصابعه على المســـدس .. ضربه على يده لم يسقط منه .. استدار نحوه يحاول أن يتخلص من بين ذراعيه .. أقسم أن يقتلهما معا .. ثم يقتل نفســه ..

ركز « حسن » كل قوته فى ذراعيه .. ليجعل اتجاه « اسماعيل » الى الامام .. وهو يصرخ .. أن يترك المسدس .. أقبلت « مارتا » مسرعة .. واختفى العقل نهائيا .. زاحم الجو وجود رابع .. هو الموت .. كل منهم أحس أن الموت وصل .. لكنه سيأخذ من .. ؟ كان هذا هو السؤال .. اقتربت فى حذر .. هددها باطلاق الرصاص عليها .. أطلق فعلا .. ازداد العدم . وانتشر فى المكان .. لم تصبها .. ما زال « حسن » يطوقه من الخلف وهما يدوران فى غرفة المكتب .. لحظة ذعر لا تمر الا فى حياة الموعود بها .. لمح على المكتب فتاحة الخطابات .. خطفها بيده ، وما زالت يده اليسرى تحيط به .. استدار فى نفس اللحظة التى كان يغرس فى معصمه بكل قوته الفتاحة .. صرخ .. سقط المسدس من يده .. انبثق منها الدم .. أمسك بها يحاول منع الدم .. لكن الدم لم يمتنع كان واضحا جليا أنها مزقت الشرايين .. استلقى على الارض يخور .. أسرع يتصل بالاسعاف ، وبالشرطة ، وفشلا فى وقف النزيف ، وحينما وصلت الشرطة .. كان يهمس همسا .. قال أن « حسن » قتله بعد أن خانه مع « مارتا » .. ثم لفظ أنفاسه .. !

وانتهت الصور .. كانت آخر صورة « اسماعيل » وهو يموت .. علم بعدها أن « مارتا » سافرت .

وبعد قليل يدور المفتاح ، ويدخل اثنان .. ثم يجتاز مرحلة الالم .. يعبر فى مركبة الالم من الوجود الى العدم .. من كل شيء الى لا شيء .. ثم لا يدرى .. وهذا ما يريده فلا كينونة ، ولا وجود ، ولا شيء ، ولا هو .. !!

نهاية حب

« نعمات » أو « عنايات » أو « نعمة » .. كل ذلك لا يهم هى أولا وأخيرا امرأة كتب على أن أحبها ، وكتب لها أن تذلنى .. ثم تضع نهاية لحياتها .. تدفعنى اليها دفعا .. كأنها دخلت فى عروقى ، وسيطرت على .. تسخرنى لاهدافها .. !

لا تسألنى كيف حدثت الجريمة ..؟ فلا أنا ولا غيرى يمكنه أن يقول لك .. ولا حتى هى لو بعثت من رقدتها الابدية .. فقد تم ذلك فى لحظة هى الجنون والعقل .. الظلمة والنور .. الحياة والموت .. الوعى واللاوعى ..!

اسمى أنا أيضا .. قل انه واحد من أبناء آدم .. كان يعيش على الخريطــة البشرية عام ١٩٨١ .. لكن مولده كان قبل ذلك بكثير .. وهكذا تقول أوراق حياته الرسمية .. وهذا الشخص كان يعيش فى منطقة تدعى « شبرا » ضاحية من ضواحى القاهرة .. وفى الستينات كان فى شبابه المتوهج ، وكانت الفتاة تماثله فى العمر او تقل أو تزيد .. الشارع واحد ، وهى تقيم تجاه غرفته .. والحب فى ذلك الوقت ، وبين هذه الشريحة من الاعمار

.. كالطعـــام لبقية البشر .. شيء ضروري وهام .. وبدونه يشعر الفتى أو الفتاة بالضياع .. !

والفتاة أكثر من جميلة ، وملابسها التي لا يشاركها احد في ارتدائها أو رسمها .. سوى زميلاتها في هذا المعهد الذي يتميز عن بقية المعاهد .. حتى بنوع دراسته .. تمشي في الشارع فتسري الرعدة في قاوب كل الشبان . وكلهم يدعون وصلا بها .. وبعضهم يزيف خطابات يدعي أنها وصلته منها ، ولـــكنني أنا أضحك في داخلي من الجميع .. فلا أحد تحبــه ويحبها الا أنا .. هــذا هو ما أفاخر به .. اذا كان لابد أن أكشف عن حبي .. حتى ارد الكذابين عن كذبهم وأطرد عن اسمها شبح العار .. !

لكن تخذلني التوجيهية ، واسعى جاهدا لكي ألتحق بمعهد من معاهد المساحة ، وتتوطد علاقتنـــا ، ويزدهر حبنا ، وينمو جنبا الى جنب مع سنوات الدراسة .. وبين الحين والحين نعلن عن حبنا .. كلما سنحت فرصة من الفرص .. حتى لا يفكر أهلها في زواجها من غيري، وحتى لا يطوف بذهن أهلي أي فتاة تصلح لي غيرها . وما كدت أتخرج في معهـــدي ، وألتحق بالوظيفة في المصلحة التي يتبعها المعهد .. حتى تقدمت الى أهلهـــا طالبا يدها للزواج ، وكان أمرا مفروغا منه .. !

الزواج جاء عقب فترة حب طويلة .. استنفدت منا كل طاقة كنا ندخرها .. سبحنا طويلا للوصول الى الشاطيء .. فلما وصلنـــا اليه .. عجزنا عن تسلق صخوره ، تشبثنا به لكن الامواج كانت تضربنا به تارة ، وتضربه بنا تارة أخرى .. وقفنا عند الشاطيء ، وبدأنا نمـارس

حياتنا فى صراع عنيف .. ضد الامواج التى تجرفنا ، وضد الصخور التى توشك أن تحطمنا .. صخور الحقيقة والواقع ، ومطالب الحياة .. !

وأنجبنا الطفل الاول ، واكتنفت ولادته أغرب ظروف يمكن أن تقابل زوجين ، وتغلبنا عليها بشكل أو بآخر . ثم جاء الطفل الثانى .. وتساقطت السنوات تترى ... هى ماضية فى وظيفتها كمدرسة للتربية البدنية فى مدارس الحكومة ، وأنا فى وظيفتى المتواضعة فى المصلحة الحكومية .. لكن وبعد عشر سنوات من الزواج .. تلوح فى الافق فرصة للالتحاق بأحدى شركات البناء ... لقد أصبح عملى من الاعمال النادرة .. التى تتهافت عليه شركات البناء .. ولوحت لى الشركة بعرض .. فيه اضعاف مرتبى ، واغراءات إخرى ووقفت حائرا بين الاستقالة ، والعمل الجديد .. لكن سحر الحكومة التى قضيت بها عشر سنوات .. كان يمسك بى .. الامر الذى يجب أن أعترف بفضلها على فيه .. هو أنها شجعتنى .. وقفت بجانبى .. حرضتنى على ترك الوظيفة الحكومية .. وجازفت وتركت الحكومة ، والتحقت بالشركة التى قفزت بمرتبى الى مبلغ لم أكن أحلم به ، ولا يتناوله فى الحكومة الا وكيل الوزارة ، وفى ذات الوقت .. يبنى والدها عمارة فى مصر الجديدة ، ويعطى لنا شقة منها ، وهكذا يواكب الارتقاء الاقتصادى لدينا .. ارتقاء اجتماعى .. فنترك « شبرا » وننتقل الى « مصر الجديدة » .. اثاث جديد ، ومركز جديد .. وسيارة خاصة لنا ،

وسيارة من العمل تنقلنى اليه ، وتعيدنى .. ظفرة ماكنا نحلم بها .

وتجىء الطفلة الثالثة ، ويضيق البيت بالكماليات ، وتنتهى متاعبنا تماما من الناحية المادية .. بل ويصبح لدينا فائض .. الا أن المتاعب التى تجد لا نجد لهـــا حلا ، والمال لا يحلها .. بقدر ما يعقدها .. الاستغراق فى المسائل المادية قديما .. كان يستهلك من وقتنـــا الكثير .. لذلك لم يكن لدينا الوقت الكافى للتفكير فى معارك جانبية .. أما وقد أصبح لدينا المال .. فالويل لنا .. السيارة التى كنت أحلم بها أصبحت اس البلاء.. وقالت لى ذات يوم .. ان صديقة لها .. اكدت انهـا رأتنى فى السيارة مع زميلة لنا فى العمل .. تسكن مصر الجديدة .. فلم أنكر الواقعة ، قلت لها ماذا فى ذلك ..؟ ولم يـكن أدل على حسن نيتى من هـذا الاعتراف ، ومحاولتى شرح الامور لها لكنها لم تقبل ولم تفهم ، والمرأة بتفتح عقلها فى كل شيء .. الا فيما يتعلـــق بأمـــانة زوجها .. فهو دائمـــا مغلق لا يقبل المنطق ، ويرفض المعقول .. !

وكان الثمن ان تظل الســـــيارة فى « الجراج » ، ولا أركبهـــا وأذهب بها الى العمل ـ اكتفـاء بسيارة الشركة .. ! وقبلت شرطها رغم ما فيه من اجحاف .. !

لكن هل هدأت ثورتها ؟ كلا .. ظلت تتهمنى رغم ظهور براءتى ، وبقيت فى نظرها .. أخبث رجل فى العالم .. وانعكس ذلك على كل معاملاتها معى .. فلا يمضى يوم دون معارك .. تصل أخبارها الى أهلها .. الذين يقيمون معنا في نفس العمارة ، مما دعا والدها

التاجر الكبير الى أن يصر على أن يأخذنى الى «دجال» فى بلدة تتبع محافظة « المنصورة » .. قال عنه .. انه يستطيع ان يعيد الصفاء بين الزوجين المتعـــاركين .. نتيجة « عمل » دس عليهما .. وحتى لا أغضب صهرى ذهبت معه ؛ ولكن « الدجال » لم يفدنا ، وظلت المعارك مستمرة بيننا .. ! وصحب هذه المعارك ظاهرة لم تكن موجودة .. تلك هى كثرة خروجها وتغيبها فى الخارج ، وابتكارها عشرات القصص .. اليوم ستلتقى بالمفتشة لان لديهما مرورا على بعض المدارس .. اليوم ستلتقى بعد الظهر بالمفتشة لنشاط رياضى اضـــافى .. اليوم مدعوة فى المنطقة كذا .. اليوم .. !

ذات يوم ، وأنا فى البيت وحدى .. لمعت فى راسى فكرة .. لماذا تصر على اتهامى بالخيانة لها ، والخروج مع أخريات .. ! ألا يمكن ان يكون ذلك مبادرة منهـــا لعرقلة أفكارى عن الاتجاه نحو ما ترتكبه هى .. ؟ والا فلماذا هذا الخروج المتكرر ، والمتعمد .. مع اصرارها على اتهامى .. فى أول الامر خنقت الفكرة .. فليس من السهل أن يتصور رجل .. مجرد التصور أن زوجته التى تزوجها بعد حب .. تخونه بعد خمسة عشر عاما .. بعد أن أصبحت أما لثلاثة أولاد .. هذا أقسى ما يمكن أن يعبر رأس رجل وهززت رأسى بعنف لعل ما به من أفكار سيئة يسقط بعيدا .. لكن الفكرة عادت تلح على .. لماذا الخروج المتعمد المستمر .. ؟

والحت على فكرة ذات ليلة ، وهى فى الخـــارج .. فخرجت الى الشرفة وكانت قد قالت انها ستعود فى

التاسعة مساء .. ولمحت من على بعد سيارة تقف وهى تهبط منها .. ثم تدخل الشارع ، وتجىء الى البيت واهب أسألها عن سر السيارة التى أوصلتها ... فتنكر أنها كانت فى سيارة .. وتتهمنى بكل ما هو سيىء .. واسكت على مضض .. عندما سـألتنى عن واقعة السيارة .. اعترفت لها بكل شىء .. ذلك لاننى لم أكن افعل ما يوجب الكذب .. اما هى فلماذا تصر على الانكار؟ .. لابد انها تخفى شيئا ما ، وهذا الشىء هو السبب فى تعدد خروجها ، واصرارها عليه .. ! وهى لن تتكلم .. لن تفصح عن سرها .. على ان أحاول الوصول الى هذا السر .. !

وصدقنى أننى ليلتها امتلأت حزنا .. وغمرنى من الاسى ما جعل فؤادى ينزف دما .. فقد روعتنى نهاية حب .. كان مثار أحاديث الناس من سنوات .. وفشلت فى الوصول الى سبب واحد .. يدفعها الى أن تتعرف على رجل غيرى ...

فقد كنت أظن ، وما زلت اظن اننى قد وفرت لها .. كل ما يجب أن يوفره رجل عصرى لزوجتـه .. وفى مقدمة كل ذلك الحب .. الذى تنشده كل امرأة فى كل مرحلة من مراحل حياتها .. ! فلماذا هذا ؟ وهل هو حقيقة أم وهم تنفثه ظنونى غير المتناسقة .. ؟!

ووجدت حقيبتها أمامى فعبثت بها .. كنت أبحث عن بعض الحقيقة وجدت ورقة صغيرة بهـا رقم تليفون ، واسم ، وعنوان .. واجهتها بها .. لمن هذه الورقة ؟ قالت فى خبث المرأة .. ناولنى اياها عنوان زميلة لى ،

وهذا اسم مالك بيتها .. كانت غلطتى .. فقد مزقتها .. ولكنى أسرعت اكتب الاسم قبل ان انساه . والعنوان فى مفكرتى .. لانه استقر فى يقينى أن صاحبه .. هو سبب خراب بيتى ، وانه السبب فى خروجها المتكرر ..!

تفاقمت الخلافات بيننا من أجل هذا الخروج ، وتدخل والدها فى الامر . وقلت لهـا اننى على استعداد لدفع مرتبها لها .. اذا تركت العمل .. حتى تسقط حجتها فى الخروج ، ولكن الاب تعهد بأنه هو الذى سوف يدفع لها المرتب اذا تقاعدت .. حرصا على الوفاق الزوجى بيننا .. لكنها أصرت على العمـــل والخروج محتجة بعشرات الاسباب .. !

الى أن كان صباح اليوم الذى وقعت فيه الجريمة .. زعمت انها لن تذهب الى المدرسة لانها على موعـد مع المفتشة .. ولهذا فهى سوف تتأخر .. وخرج الاولاد الى مدارسهم ، وخرجت أنا وبقيت هى .. ثم طلبت من البواب أن يذهب ليجىء لها بالتموين من عند البقال .. وغادرت البيت . وألف شك فى صدرى .. يوخزه بآلاف الابر .. وحينما ركبت سيارة الشركة .. ومضت بى الى أن بلغت « ميدان روكسى » اعتذرت لرئيسى الذى كان معى ، وطلبت منه أن يعفينى من العمل اليوم لامر هام .. وهبطت فى « روكسى » .. ثم ركبت سيارة أجرة هبطت منها قبل العمارة .. ثم رابطت واقفا .. حتى رأيتهـا تغادر البيت ثم تركب سيارة أجرة .. فأسرعت أركب سيارة أجرة .. وطلبت من السائق أن يتبعها .. وسارت بالسيارة مسافة كيلو متر .. ثم هبطت منها ، ومشت

الى سيارة كانت تنتظر الى جانب رصيف .. سيارة ملاكى .. يجلس فيها رجل .. فتحت الباب ، وجلست بجواره ، وغادرت أنا السيارة الاجرة .. جريت دون أن أحاسب السائق .. وفتحت الباب الذى أغلقته ، وأمسكت بها .. أجرها الى خارج السيارة .. !

على وجه التحديد .. لا أعرف ماذا وقع ارتبكت ، وقفز الفزع على ملامحها .. حاول الرجل أن يتدخل .. كان فى ذهنى ، وأنا أصرخ هاتوا البوليس .. هاتوا البوليس أن اثبت عليها تهمة الخيانة .. حتى لا « تبهدلنى » بمقتضى القانون الجديد .. الذى يعطيها حق بقاء البنت لديها الى أن تتزوج .. ويعطيها الشقة، ويعطيها الاثاث .. كل ذلك أكان أمام بصرى ، وأنا أحاول أن أمسك بها ، وامسك بالرجل .. !

لكن الرجل لكمنى فى وجهى .. حتى يفلت منى بها ، وينطلق بالسيارة .. وكانت معى سلسلة مفاتيحى ، وبها سلاح صغير لفتح اظرف الخطابات .. أخرجت السلاح .. كانت قريبة منى .. حاولت أن أصيب الرجل .. لكى أبعده عنى .. لكننى وجدت عنقها يميل ، والدماء تتدفق منه .. سقطت على الارض .. ألقيت بنفسى عليها .. اتفحص الجرح الذى ينثر الدماء لكنه لا يظهر .. انتهز الفرصة صاحب السيارة .. وركب سيارته ، وادار محركها .. قبل أن ينطلق .. امسكت بالمؤخرة .. جرى بكل سرعته .. قفزت حتى أصبحت فوق الشبكة ، وشهدت شوارع مصر الجديدة نهاية المأساة .. الى ان دخل بى قسم الشرطة يستغيث زاعما انى أريد قتله .

أمام « العقيد يسرى موسى » مأمور قسم النزهة .. تبين لى ان اسمه هو الاسم الذى كان فى الورقة التى وجدتها فى حقيبتها .

العميد عباس العاصى مدير البحث الجنائى استمع الى اقوالى ، مع العقيد عبد الهادى مخيمر ، وكلفا المقدم عبد المنعم رئيس وحدة البحث بجمع تحريات جديدة .. وكلها طابقت الاقوال التى أدليت بها .. !

الشىء الوحيد الذى لا أعرف كيف تم .. هو تلك اللحظة .. لحظة وقوع الجريمة .. لحظة الجنون والعقل ، والنور والظلمة ، والحياة والموت ، والوعى واللاوعى .. !!

الحـــــزام

شيء كالظلام يقبع داخله الآن .. لكن له ثقل ، وحجم ومرارة .. شعور الطير الذى سقط يتخبط فى شباك .. كل ماحوله الآن سبق أن أراه .. لكن اين هذا هو ما لا يدريه .. ؟

هذه الدقائق الشرسة .. اللحظات القلقة الجهنمية التى تهرسه .. هل كانت تعيش فى خياله .. ترقد فى وجدانه .. منذ أن بدأ السير فى هذا الطريق .. ؟ كان يرى النهاية دون أن يتنبه اليها .. لو ان هذا حدث له من قبل .. لفقد النطق .. وتوقف قلبه عن النبض .. لكن مسيرته التى قطعها فى طريق الشوك .. جعلته يواجه مصيره الذى كان بعيد الاحتمال .. لقد استوعب انفجار قنبلة سقوطه فى أيدى الشرطة .. تمزق من الداخل .. لكنه بقى فى الخارج .. يحاول ان يبدو متماسكا .. حتى لا ينهار فيموت .. وان كان تمنى ان يموت فى اكثر من لحظة .. ؟

وفى اول الامر شعر بالرعب ، واقسم ان يقلع .. لكن المبالغ الكبيرة التى ملأت حقيبتـــه .. تلك المجمـــوعة الضخمة من الاوراق الملونة البنكنوتية التى لم يحدث له

ان راها طول عمره .. اصبحت ملكا له .. وعجز عن الرجوع .. فقد كانت حراب الشركاء من حوله .. تحيط به تمس جسده وتحذره من النــــكوص .. تدفعه الى الخوض فى الوحل .. ذات لحظة .. أحس انه فقد نهائيا حرية القدرة على التراجع .. !!

حينما تخرج عام ١٩٧١ فى كلية الطب .. كانت تحيط الامانى به كأنها « قوس قزح » .. لابد من تحقيق الحلم الخماسى - المكون من خمسة « عيون » هى العيادة ، والعربة ، والعروس ، والعــزبة ، والعلاوة .. ووجــد نفسه فى عام الامتياز لا يتقاضى سوى عشرين جنيها ، وراحت الاحلام تتساقط .. ولكنه جرى خلفها يجمعها من فوق أرض الواقع . .جمدها فى صــدره الى أن تنتهى مدة الامتياز .

وبدأ يتحفز بعد الامتياز .. تناولته وزارة الصحة ، وقذفت به الى مستشفى الامراض العقليـــــة .. على مشارف القاهرة ، وفى أول الشهر وجد الصراف يعطيه ثلاثين جنيها وبضعة قروش .. قال له ان هذا هو كل مرتبه بما فيه بدل العيــــادة .. بعد خصم المستحق للحكومة ..

وأحس ان شيئا غير منظور يخترقه .. يدوس بقدمين ضخمتين .. كل الامانى التى كان يحلق فى سمائها .. ويدفع به من حالق .. فيرتطم بأرض الواقع ويتمزق ..

زميله فلان استطاع ان يجد عقدا فى البلاد العربية ، وزميله فلان سافر الى « ليبيا » وفلان ، وفلان .. هو وحده الذى فشل فى الافلات من براثن وزارة الصحة

.. وبقى فى مصر .. وانتهت كل أحلامه .. لن يحقق ولا عين من « العيون » الخمسة .. والزميلة التى تنتظره .. شريكة حياة المستقبل الذى لن يجىء .. ماذا يقول لها وامتلأ حقدا وكراهية لذاته .. انه يرى نفسه فاشلا فى ممارسة الحياة .. الذين استطاعوا أن يتصرفوا على أساس مصلحتهم الذاتية فقط .. دون مراعاة حتى مشاعر الآخرين .. تمكنوا من ان يحققوا لانفسهم ما يريدون أما هو فسيظل هكذا الى الابد .. خائفا .. مترددا .. لا يعشق المخاطر .. ولذلك فسوف يواجه خطيبته بأنه يريد أن يفسخ الخطبة فلم يعد يصلح ، ولن يستطيع ان يحصل يوما ما على ما يتيح الحياة التى يتمناها لها معه ..

سبح فى هذا الاحساس المهين عدة أيام الى ان ألتقى بها يوم الجمعة .. كانت تعود من الوحدة الريفية التى تعمل بها الى القاهرة كل أسبوع .. لتلتقى به ، ولكى تؤكد لاهلها فى كل مرة انها لن تتزوج غير زميلها الذى اختارته ، وهى على ابواب البكالوريوس. وأحست من أول لحظة انه فى براثن حالة كآبه .. كثيرا ما تصيب صغار الاطباء فى بداية عملهم فى المصحات العقلية .. من اجل ذلك حاولت ان تخرجه من كآبته ، وأن تشير الى هذه البديهية التى يعرفونها جيدا .. لكنه فاجأها بما كان يريد أن يفاجئها به .. فارتاعت للحظات .. ثم عادت تفحصه بعينين كان يتفادى نظراتهما .. لانه طالما اعترف بضعفه الشديد أمامهما .. وامتلأت باحساس ضاعف نهمها للحياة .. واستنفرت رغباتها الكامنة فى عنف ..

تحاول أن تلفح حرارتها وجهه لكى يخرج من جموده .. ان سخطه على نفســــــه مبعثه انه يبيع الشهر الطويل العريض من حياته .. بهذا المبلغ التافه الذى القـــــاه الصراف فى وجهه .. وأرسلت صوتها ناعما يتسلل الى أعماقه كالسكين فى الزبد .. ان المثل التى يلتزم بها : وجعلها تلتزم بها .. هى السبب .. انها تشعر انها مقيدة بالتعاليم التى يصدع بها رأســها كامــا جلست اليه .. انهما يستطيعان أن يتزوجا فى عام واحد .. هى فى موقعها من الوحدة الريفية .. فى وسعها ان تحول كل العمل بعد الظهر لحسابها ، وأن تقوم بالتوليد : وختان البنات ، والاولاد ، وتذهب الى كل النجوع ، والكفور المجاورة فى زيارات اذا دعيت .. انها الآن ترفض ان تقوم بكل ذلك .. ترفض شهادات التسنين الا اذا كانت مطابقة .. ترفض منح المتمارضين من موظفى الحكومة الاجازات رغم استعدادهم للدفع .. وأنت ..

رفع وجهه نحوها ، ظل يتابع فى أصغاء ، رماها بنظرة كان يرجو أن تشعر بها . القاها كأنه يضع حجرا أمام سيارة تنزلق .. لكن حديثهما لم يتوقف .. استدارت لتأخذ طريقا آخر .. واصلت حديثها قائلة .. الست زميلا لمن يكسبون الآلاف فى البلاد العربية ؟ يجب أن نحصل على ثمن بقائك فى مصر .. لن يدفعه لك أحد .. لابد أن تأخذه بيدك !

استطاعت أن تثير زوبعة فى خاطره .. كانت ترقد فى انتظار البواعث .. حرك رأسه كأنه يزوغ من رصاصة

مسددة اليه .. ورفع يديه يهز عنهما قيودا غير منظورة، وصاح فيها بصوت هين .. كفى .. كفى .. !

قامت المعاهدة بينهما .. كان التبرير جاهزا .. انهما فى حالة دفاع عن أحلامهما .. دفاع عن آمال .. ان لم تتحقق فقدا وجودهما .. وفى سبيل الدفاع عن النفس يبيح القانون كل شيء .. !!

وباسم الدفاع عن الذات .. استباحا كل ما كان محرما عليهما الاقتراب منه او التفكير فيه .. وأطلقا الاعنة التى كانت تكبح رغباتهما .. فانطلقا ينهبان الناس ، والحكومة وجرت المئات ثم الآلاف فى أيديهما ، وتصاعدت درجة فخامة ملابسهما .. يستران بها التدمير الذى حدث داخليهما وقبل أن يمضى العام .. تزوجا ، وأصبح له سيارة ، ولها أخرى .

لم يعد يتحدث عن الذين سافروا .. أو يحسد الذين تعاقدوا فليس هناك من استطاع خلال سنوات سبع أن يحقق ما حققه هو وزوجته .. دون أن يغادرا مصر ..

أصبحت عيادته فى باب الشعرية ملتقى الكثيرين ، وأخرى فى مصر الجديدة .. واشترى « فيللا » ، وأنجبت ثلاثة أولاد ، وزوجته مازالت فى الوحدة الريفية القريبة من القاهرة ، وهو مازال فى الموقع الذى يشغله فى المستشفى .. !

ذات يوم جلس اليها .. شكا من الآخرين الذين يتعامل معهم .. انهم عصابة ، وهو يخشى أن ينكشف الامر .. فلا يحمل الجريمة سواه .. فكل كميات « الكودايين »

ألتى يتسلمها بوصفه طبيبا فى مستشفى امراض عقلية .. تستوردها العصابة باسم هيئـة طبية .. مستغلة أوراقها ، وأختامها .. ويتسلمها هو بصفته الطبيب من الجمارك .. ثم تعد العصابة التجار الذين يشترون منه وكلهم من تجار المخدرات الذين تحولوا الى الاتجار فى الحبوب المخدرة .. وقد شعر انهم يعاملونه فى الايام الاخيرة كتاجر مخدرات لا كطبيب .. لهذا فهو يرى أن يشق عصا الطاعة ، وأن يخرج على العصابة ، وأن يتوب الى الابد .

وهزها الخبر .. انزعجت لان ذلك معناه العودة إلى الفقر ونصحتـه بأن يعمل لصـالحه ، واذا كان كيلو « الكودايين » يكلفه خمسة آلاف جنيه أو أقل .. فانه يباع بعشرة آلاف .. ويكفيه صفقة واحدة كل شهر ، وعليه أن يبحث عن وجوه جديدة لتشترى منه . انه فقط يتظاهر أمام العصـابة .. بأن زوجته عرفت ، وجعلت امتناعه عن العمل مع العصـابة مقابلا لاستمرارها فى الحياة الزوجية ، والا طلقت .

وعمل بنصيحتها .. واقتنعت العصـابة أو تظاهرت بأنها اقتنعت . وكف عن العمل معها .. وبدأ يعمـل لحسابه من يناير عام ١٩٧٩! .. وأرهقه البحث عن تاجر يستطيع أن يدفع ، وأن يحمل البضاعة دفعة واحـدة وتعامل مع تاجر ، وآخر ، وثالث .. لكنه كان يبحث عن تاجر يشترى ثلاثة كيلو جرامات من « الكودايين » دفعة واحدة .. وقدم له السمسار طبيبا صاحب مصحة فى الاسكندرية .. كان فى مسيس الحاجة الى البضاعة ..

وتم اللقاء الاول فى كازينو بمصر الجديدة .. أما اللقاء الثانى فكان فى عيادته « بباب الشعرية » ، وهنـاك فتح تاجر الاسكندرية حقيبته ، وكشف عن الثلاثين الف جنيه المكدسة فى حزم كل منها ألف جنيه .. وأطلع بدوره أيضا على نوع البضـاعة .. واطمأن طبيب القاهرة ، وأعطى الموعد الثالث للتسليم .

وأعلنت مديرية الامن حالة الطوارىء فى مكتب مدير مكافحة المخدرات العميد رياض هاشم .. فلم يكن التاجر طبيب الاسكندرية سوى المقدم حمدى الجزار . وبعـد دراسة خطة الضبط التى أعدها العميـد رياض هاشم والعقيد احمد عثمان .. خرجت قوة المـكتب فى سرية تامة ، ودفعت بالمقدم حمدى الجزار .. الذى كان على موعد معه فى ارض النعام بجوار « الفيللا » التى يسكنها .. وبعد أن تم التسليم فوجىء الطبيب بالدنيـا تطبق عليه ، والسماء تنطبق على الارض .

وفى مديرية الامن اعترف أمام اللواء ثروت عطا الله مدير أمن القاهرة بالتفصيل .. وقال انه كان ينوى أن يتوب بعد هذه الصفقة .. لسبب بسيط .. هـو ان زوجته وقعت فى قضية « رشوة » ضحية لكمين أعدته لها الرقابة الادارية منذ يومين فقط ، ولما ذهب اليها والنيابة تحقق معها .. قالت له لابد أن يكفا عن الحرام .. ولكن كليهما الآن فى قضية ، وأولادهما بلا راع .. الا من الشغالة والطباخ .

خرجت زوجته بكفالة ، وخرج هو بكفالة قدرها مائتى

جنيه وكلاهما فى انتظار حكم المحكمة .. لكن الساعات المشحونة بالقلق ، والتى توالت عليه منذ سقوطه فى أيدي الشرطة .. حتى خروجه ، وما قد ينتظره من مصير مؤلم رهيب .. كل ذلك يحيط به يوشك أن يخنقه .. كأنه لم يخرج ، وكأن الظروف لم تذهب عنه .. !!

زحفوا إلى الدمار

اجراس الانذار تدق ، ولن تكف عن الصراخ .. !

لقد سبق أولادنا أفلام السينما والتليفزيون .. !

والآباء والامهات عليهم أن يفتحوا عيونهم على آخرها.. فالتيار جارف .. وهذه المجموعة من الشباب تنتمى لعائلات « مستورة » .. كلهم يسكنون مصر الجديدة ، ومنشية البكرى وحدائق القبة .. وأربعة منهم طلاب جامعيون .. والفتاة التى شاركتهم طالبة فى المعهد العالى الصناعى بالزيتون ..

***

كل لقاءاتهم أو معظمها .. كانت تتم فى حديقة « الميرلاند » ـ أو « غرناطة » .. حتى مسرح جريمتهم لم يكن بعيدا عن هذا المكان .. « عملات » طيبة .. أو كان يمكن أن تكون طيبة .. لكنها تسربت من أصابع المجتمع .. لتتدرج خلف بعضها لتهوى فى بالوعة .. ان كل ما نشر ، وما سوف ينشر عن هؤلاء « الجناة » .. هو بكاء عليهم ، وفى نفس الوقت دفاع ضد اتهامهم الذى يلصقونه بالمجتمع .. فقد أهملهم فسهل لهم السقوط ..

الاربعة ، والفتاة خامستهم ، فرقة مجهزة بالطاقات ، والفكر المدمر المشحون أمالا مجنونة ـ وأحلاما طائشة ـ فى الزحف نحو السيارة ، والمال ، والملابس ، والسهر ، والحب ، بأقل مجهود ، وأرخص تكلفة

والذى لم تنشره الصحف ، ولم يطـــرح فى المؤتمر الصحفى الذى انعقد فى مكتب مدير الامن العام .. هو ان هؤلاء الجامعيين ، وحتى الموظف فيهم بالاذاعة .. كلهم « عراة » من الداخل .. ضربوا داخليا بمعرفة الاهل .. عن غير عمد .. وساهم المجتمع فى ذلك التخريب بنصيبه ، وتولت أحلامهم التى تفوق امكاناتهم الباقى .. واعتبروا الخروج على القانون .. محاولات شريفة فى سـبيل تحقيق آمالهم . فاذا فشـــلوا كان لهم شرف المحاولة واذا نجحوا حققوا أحلامهم ، وشقوا مستقبلهم .. كما سيشقون شوارع القـاهرة بسياراتهم .. هكذا كان يقول لهم موظف الاذاعة .

وهو يقول ذلك من واقع كله فشل ، وعدم قـدرته على ممارسة أى عمل جاد ، فقد طرد من وظيفته ، وطرد من بيت والدته الموظفة بالاذاعة أيضا .. ويريد أن يقود معه مجموعة من الخاسرين .. حتى لا يكون وحده وقد انبهر به الشبان .. ووقعت الفتاة فى حبه كزعيم .. يقول الحـــكم ، ويرسم الخطط ، ويخلق النقود من لا شىء ..

والفتاة اندفعت الى حبه .. تحت تأثير عوامل كثيرة .. فهى تحيا وحيـــدة فى مصر الجديدة .. كئيبة فى الصحراء .. تعيش مع والدتها التى احترفت التمريض ،

وتعمل ممرضة فى مؤسسة خيرية بمنشية البكرى .. وقد وهبت نفســـــها لتربيها مع شقيقة لها تكبرها .. تزوجت منذ عام ..

وقد انفصلت الام عن الاب الذى كان يعمل فى الحكومة .. كعامل فى احد القطـــــاعات الصناعية .. بعد ثلاث سنوات زواج .. أنجبت خلالها « صباح » وشقيقتها .. استحالة الحياة بينهما بسبب والدته .. وحصلت منه على الطلاق .. الذى كان بناء على طلبها .. وتعهد أن يدفع لها كل شهر ثلاثة جنيهات .. زادت بعدها الى خمسة جنيهات .. فلما دخلت صباح الثانوية .. رفع النفقة الى عشرة جنيهات .

ظلت المرضة فى مصر الجديدة .. اما هو فقـــد تزوج ، وأنجب ستة أولاد وعاش فى الدرب الاحمر ـ واستقال من الحكومة ، واصبح صاحب ورشة تدر عليه يوميا أكثر من ثلاثين جنيها ، ورغم ذلك فهو لم يرفـــع النفقة التى ظلت عشرة جنيهات ، فلما تزوجت شقيقتها ، فاوضها فى تخفيضها .. فقالت له أنها أصبحت طالبـــة جامعية ولم تعد تكفيها .. فأبى عليها .

قال لها وهى تؤدى امتحان التوجيهية .. انه سوف يشترى لها سيارة لو نجحت من اول مرة ، فلما نجحت قال لها .. لكنك لم تحصلى على مجموع ، ولم تدخلى كلية .. بل التحقت بمعهد اعداد الصناعيين ، واضيفت علامة جديدة .. تؤكد ان الوعود كاذبة ومنافقة .

ورغم كل ظروفها الصعبة .. بين الام ، والاب اجتازت

التوجيهية ودخلت معهد تدريب الصناعيين .. لكنها افاقت على حقيقة لا يريد أن يفهمها والدها .. هى ان هذا المعهد .. فيه دروس خصوصية مرتفعة الثمن .. ولم تجد بدا من أن تذهب لتطلب مبلغ أربعين جنيهـا لمدرس احدى المواد ، وقال لها الاب لابد أن توقع على أنها تسلمت نفقة أربعة أشهر مقدما .. حتى لا تطالبه بعد ذلك .. ولم تجد بدا من التوقيع ..

كانت خلال ذلك قد تعرفت على « حسام » موظف الاذاعة .. رأته عند سيدة كانت ابنتها صديقتها ، وزميلة لها .. كان هو يتردد كصديق لابن هذه السيدة .. كانت قمة ازمتها .. الدنيا برد وقد اضطرت الى شراء ملابس من « البوتيك » بمبلغ ستين جنيها .. ووالدها يرفض الاعتراف .. وبعد الاربعين جنيها أصر على موقفه .. قال لها « حسام » أثناء جلسة « رومانتيكية » فى غرناطة .. أنت فى حاجة الى نقود ... أليس كذلك ..؟

أجابت : نعم .. لكن كيف عرفت .. ؟ قال أنه كزعيم يقرأ أفكار أتباعه .. وسوف يتولى حل أزمتها .. فقط يريد منها أن تؤدى له خدمة ..!!

البنت المزروعة وحدها فى الصحراء ، لم تعجب به فقط ، وانمـا أحبته أيضا .. أحبت فيه الامن الذى تفتقده .. الاحساس بمشاكلها .. فهمه لظروفها .. ألاب الذى لا تذهب اليه الا كما تذهب الى أضرحة الاولياء والمشايخ .. !!

أجابته بلهفة ماهى الخدمة .. ؟ قال .. انه يـريد ان يتأكد اذا ما كان صديقه فى شقته أم لا .. ؟ الا أن

والدته الكبيرة السن دائما تخبئه عنه .. لذلك فمـــا عليها .. الا أن تصعد معه ثم تدق جرس الباب ــ تخرج السيدة العجوز .. تقول لها أنها تريد جرعة ماء لا أكثر ولا أقل .. هذه كل مهمتها .. !

وذهبت معه ــ كان وسط الركب .. دائمــــا فى حاشيته .. صمويل .. ويسرى .. صعدوا معها .. نفذت الخطة .. فلما فتحت السيدة الباب .. وذهبت لتعود لها بالماء .. هبطت هى ، ومضت دون أن تعرف ماذا حدث ..

بعد يومين التقى بها ، ودفع اليها بمبلغ مائة جنيه .. قال لها أنه يمكنها أن تحل أزمتها .. كان ذلك منذ ثلاثة اشهر .. تقول أنها صدقته .. ولم تربط بين الخدمة التى أدتها له وبين النقود التى أعطاها لها .. !

بعدها انهمكت فى المذاكرة للامتحانات .. فى الاسبوع الماضى .. التقت به فى الشارع فجأة .. قال لها .. أنه يبحث عنهــــا .. يريدها فى خدمة أخرى .. قالت له ما هى قال لها .. ألست فى حاجة الى نقود .. ؟ قالت نعم ..

هذه المرة زعم لها .. ان زوجة طيبة مدينة له بمبلغ .. لكن زوجها لا يعرف يريد منها أن تكشف له .. اذا كان الزوج فى الشقة أم خرج .. ؟

سوف يصعد معها صمويل « وعمرو » .. لان الرجل لا يعرفهما وتقول بعد أن تفتح لها السيدة .. انها تريد جرعة ماء ..

قالت له انها لا تستطيع تأدية المهمة اليوم .. حاول

اقناعها .. ترددت .. احست ان فى الامر بعض الاسرار التى لا تفهمها .. قبل التأجيل الى الغد .. كانت تأمل ان تهرب من المهمة .. ذهبت الى والدها .. كانت فى حاجة الى نقود .. قالت له .. انها فى حاجة الى نقود .. أجابها بأن الشهر لم ينته .. وعليها أن تعود اليه أول الشهر ..

ومضت الى مصر الجديدة .. بحثت عن « حسام » قالت له انها تحت أمره .. أخذها الى ذلك المكان .. الذى يقع فى عمارة فى الزيتون صعدت نفذت الخطة .. ودخلت السيدة لتعود لها بالماء .. لكنها تلعثمت وهى تطلب الماء .

تعترف ان السيدة حينما نظرت فى عينيها .. لم تسترح لنظرتها لذلك دخلت لتعود بالماء ، وانسحبت هى .. وقفز داخل الشقة «صمويل» و «عمرو» و «حسام» وحينما كانت تهبط الدرج .. سمعت صرخة مكتومة ..

عند الباب رأت « سعد » يجلس بجوار البواب يقرأ الصحيفة و « يسرى » يتسكع عند ناصية الشارع .. مضت فى طريقها .. لحق بها « يسرى » قال لها ان « حسام » يطلب منها أن تنتظره فى « غرناطة » لكنها كانت مرتبكة .. وحاولت أن تذهب الى البيت .. فالصرخة مازالت فى أذنيها .. قالت لـ « يسرى » أن السيدة صرخت .. قال لها انها تتخيل ذلك .. فلم يحدث ان فتحت فمها ..

جلست فى « غرناطة » مع « يسرى » بعد قليل .. اقبل الجميع .. رأت فى أيديهم جهاز تسجيل ،

واخرجوا الذهب .. فقالت « لحسام » .. انه زعم ان السيدة سوف تعطيه نقودا .. ؟ أجاب بأنها لا تملك الآن نقودا سائلة لهذا أعطته الذهب .. وأعطاها «غويشتين» لتبيعهما ثم تأخـــذ مائة وخمسين جنيها ، وتعيد اليه الباقى .. ذهبت بما معها الى أحد الصـــاغة فى مصر الجديدة ـ باعتهما بمبلغ مائتين وعشرين جنيها .. ردت اليه النقود الزائدة وأخذت المائة والخمسين جنيها .. اشترت بعض الهدايا لشقيقتها ، وذهبت الى محلات عمر افندى فى مصر الجديدة .. لتشترى بعض الملابس .. هناك تعقبتها « نشالة » نشلت منها المـائة جنيه التى كانت تزمع شراء ملابس صيفية بها .. !!

حينما تحسست النقود ولم تجدها .. أدركت ان هذا نذير بالقبض عليها ، ولكن لم يـكن فى وسعها ان تفعل شيئا .. لذلك حينما فوجئت بالعقيد حازم شفيق ، والمقدم عادل سليم ، والرائد عبد العزيز حامد يزدرونها فى البيت .. استسلمت ، واعترفت بالتفصيل .. !

وخرج المقدم حسين فريد ، وسعيد العبار ، والمقدم امام محمود الى منزل « عمرو » لكن « عمرو » كان قد حصل على نصيبه وهرب مع فتاة طالبة .. بعد آخر يوم فى امتحانها ليتزوجا فى الاسكندرية ..!

اما « حسام الدين » فقد تولى القبض عليه العقيد محمد عبد الغنى والعقيد فادى حبشى ، ورسم خطـة البحث ، وأشرف عليها اللواء عبد الحميد منصور مدير المباحث ، والعميد عباس العاصى ، والعميد مصطفى منيب ، وقد تطلبت جهودا غير عادية لعدم وجود اية سوابق لاى من المتهمين .. !!

رحلة فى أعماق مزيف

قد يكون شاعرا ضاعت منه الكلمات .. او رساما هربت منه ، واختلطت عليه الالوان .. أو موسيقيا هجرته القدرة على اخضاع الانغام .. تحسبه أحد هؤلاء حينما تقع عينك عليه .. فهو مهذب الصوت والكلمات . رقيق الملامح .. ناعم النظرة .. مؤدب الوجود .. موسيقى الاسم (علوى) .. تهمته « التزوير » الشرس .. الموغل فى الاتقان والذى يتناول كل شيء .. كل الوثائق التى تخطر ببالك .. بكالوريوسات .. لسانسات .. وثائق المعافاة من التجنيد .. تصاريح سفر صادرة عن ادارة التنظيم والادارة .. شهادات انهاء الخدمة العسكرية .. صحف جنائية مختومة .. شهادات مؤقتة دالة على الحصول على المؤهل من كل كليات جامعات مصر .. مختومة وجاهزة لملء الاسماء .. اختام جميع السفارات ، والقنصليات العربية .. عندما تعلم هذا ، وتطالع الدقة العالية التى تم بها التزييف . وهى من أصابع « علوى » تتراجع خواطرك لكى تفحص شخصيته ذاتها .. هل هى فعلا كما تراها من خلال هذا الاطار الشاعرى .. أم انه يزيف حتى هذا الوجود .

و « علوى » رغم الهدوء الشامل الذى يبدو عليه .. الا انه صورة كاملة لتهمته .. فهـــو قلق من القاع والنخاع حتى ملابســه .. وقد أحاطت به فى حيـاته ظروف قاسية .. زرعت فيه جرثومة القلق .. وحرمته من الانسجام النفسى وأسلمته الى طموح أحمق .. قاده فى النهاية الى ذلك المصير التعس .. فهو حينما القى القبض عليه العقيد عبد الله السماحى .. لم يكن التزوير فقط تهمته ، وانما هناك قضية حكم ضده فيها ، وشى تهمة اختلاس ستة عشر الفا من الجنيهات من الشركة التى كان يعمل بها .. ثم أفرج عنه بعد التحقيــق وقدمت القضية الى محكمة الجنايات .. وصدر الحكم ضــده بالسجن عشر سنوات واستطاع بأساليبه الخاصة أن يختفى عن العيون ثلاث سنوات فى القاهرة الى ان غمرت الوثائق التى يزيفها المواقع المختلفة .. فضجت بالشكوى ، وكان على مكتب مكافحة التزييف الذى يقوده اللواء عبدالمنعم الصيرفى أن يتحرك لحماية المجتمع من هذا الذى يطعنه فى الظلام .. بتزوير أقدس وثائقه .

واستطاع المكتب بواسطة عيونه ، وأساليبه أن يجىء به ، ومعه كل الادوات التى يستعملها .. وفى سكنه الذى اتخذه فى غرفة بأحد الفنادق .. وجدت مئات الوثائق الجاهزة المعدة للبيع .. ولم ينكر « علوى » ولم يكابر .. اعترف بكل شىء .. وكان السؤال الذى حير الجميع .. لماذا لم يحاول الخروج من مصر ، وهو لن يعدم الوسيلة .. وكان رده غريبا عميقا .. انه لا يطيق البعد عن

والدته .. ولا يريده . ويخشى أن ترك مصر ... ان ينساها ..

كان والده يشغل وظيفة ما فى بريد بور سعيد .. فى الاربعينات .. ولد هــو لكى يكون ترتيبه فى الاولاد الاصغر ، وهم ثلاثة .. كلهم أتموا التعليم الجامعى . الذى يسبقه مباشرة رسام يجيد رسم اللوحات الفنية، وقد يكون عشق الرسم منه ومارس الهواية سنوات فى ايام المراهقة ثم هجرها .

منذ أن وعى وهو يرى والدته على خلاف .. الشقاق لا يفارق البيت كأنه معلق فى سقفه .. والجميع لا يرونه كمـــا يراه « علوى » . فالذين ســبقوه حتى شــقيقتاه الكبيرتان .. قد يكونوا جميعا شهدوا فترات الانسجام الماضية التى تسود البيت .. يوم ان كان كلا الوالدين يحاول أن يمشى على خلافاته من أجل الاولاد كالساحر الهندى فوق المسامير .. أما الآن والـكأس قد طفح ونفد الصبر .. فلم يعـودا يطيقان .. وهكذا كان نصيبه أن ينام ويقوم على صراخ ومعارك ، وتهديد بالطلاق .

واجتاز فترة المراهقــة ، وحصل على التوجيهية .. وتزوجت شقيقته الكبرى .. ولكن الخلافات تفاقمت الى حد خنقت فيه الصـــبر .. الاب أنانى مســتغرق فى الشراب .. والام ترى أن أولاده أحق بمـــا يضيع فى الكأس .. وهو يتعلل بأن معاركهـــا معه لا يتحملها الا بالشراب .. والحلقة مفرغة .. وكان لابد من وقــوع الطلاق .. عادت الام بأولادها الى القاهرة .. استقرت مع أهلها .. واحتضنت أولادها .. تحصـــل من الاب

على نفقة .. والتحق « علوى » بكلية التجارة .. وشعر انه يعيش فى بيت بلا سقف .. الاب طار فجأة .. وكان يجىء بين الحين والحين .. ليطمئن .. فلما تزوج اقلع عن هذه العادة .. فقد أصبح له أولاد آخرون وكان التمزق النفسي لعلوى .. هل يحقد على والده وهل يحمل والدته المسئولية ؟

ويحصل علوى على البكالوريوس .. ويلتحق باحدى شركات مقاولات القطاع العام مراجعا للحسابات .. لتبدأ مأساته .

لو انه دفع به الى موقع آخر فى العمل .. غير هذا الموقع لما كانت المأساة سريعة حاسمة .. ولكن مكان المأساة ينادى صاحبها نداء خفيا .. لا يدركه صاحبها الا حينما تقع .. من هذا المكان اتيح له أن يتضاعف حقده على كل ما يحلق فوقه .. معنويا أو ماديا .. وتحفزت كراهيته المخزونة لوالده . تفرض نفسها على سلوكه .. تتهيأ للانتقام من مجتمع لم يرحم مراهقته .. فطلقت والدته .. وهو يدرك المأساة بكل اعماقها ... وأطلق احتقاره على الكبار .. تمهيدا لاسقاط الهيبة عنهم .. ليضرب ضربته .. دون أن تشل يده هيبة أو رهبة .. أو حتى يفكر فى التراجع .. عما انتواه ... يتلمس أوهى المبررات لكى يوغل كفرانا بالمجتمع ونكاية به ..

كانت الاوراق التى تمر من تحت أنفه لها رائحة نفاذة .. رائحة الشكوك ، والعمولات ، والاختلاسات ، وكل شىء غير نظيف ولكنها كاملة الشكل الرسمى من الامضاءات والاختام .. والعلاقات بين المسئولين ،

والمتعاملين مع الشركة من المقاولين كأحسن ما تكون ـ شيلني وأشيلك ـ ولكنه ليس فى وسعه أن يفتح فمه .. لان الاوراق الرسمية مستوفاة ..

ثم تفجرت مشكلته حينما زاره أحد المقاولين المتعاملين فى مكتبه ، وسأل عن أحد المهندسين فقال له انه غير موجود .. فترك له حقيبة طلب منه أن يسلمها له . ومضى المقاول واحتفظ هو بالحقيبة طول اليوم .. فلم يصل المهندس واضطر أن يحملها معه الى منزله ... واستبد به الفضول ففتحها واذا به يجدها محشوة بالبنكنوت كانت مفاجأة أذهلته .. فأسرع يغلقها .. وبعد قليل .. استجمع نفسه المشتتة ، وراح يحصر المبلغ .. الف .. الف .. الفان .. ثلاثة .. وأغلق الحقيبة . وفى الليل فوجىء بالمهندس يزوره فى البيت .. أعتقد أنه جاء لكى يأخذ الحقيبة .. ولكن المهندس .. قال له .. انها هدية له من المقاول .. لكى يغمض عينيه عن بعض مخالفات سوف تصل اليه فى أوراق الاسبوع القادم .. ولم يتردد فى قبولها .. كل مافى الامر انه عرض على المهندس ان ينال منها الثلث .. لكن المهندس اعتذر قائلا بأنه وصله حقه ، وأن هذا له وحده .. !

أيا كان الثمن .. فقد شعر أنه يوجه ضربته التى تمنى أن يضربها فى الصميم .. لن يكلفه الامر الا تحويرا خفيفا فى المستندات ..

وليس تزويرا .. هو وحده القادر عليه دون غيره .. وأطلت رغبته الدفينة فى احتقار الكبار ، وزمجرت رغبته

في الانتقـــام من المجتمع .. ونجحت العملية الاولى ، وقبض مؤخر أتعابه ألفين آخرين .. !

ولكن نجاح تدليسه جعله يشعر أنه قد حقق الكثير .. فاندفع يتحفز لعملية أخرى .. مبررا لنفسه السلوك الملتوى بأنه لن يكون الشريف الوحيد فى مجتمع للأشرار ..

وقبل أن تمضي عدة شهور على استثماره لذكائه .. أطبقت عليه الرقابة الادارية ، وحولته الى التحقيق واذا به يكتشف انه لم يكن ذكيا كما كان يظن .. وانما هو الغرور الذى يكمن فى كل مجترىء على القانون بقدر .. فالذين لم يكونوا على مثل ذكائه .. لم يدانوا ، وحمل هو الجريمة برمتها ، فقد كان جملة المختلس يزيد على مائتى الفى جنيه لم يكن نصيبه منها سوى ستة عشر الفا . وحولت القضية الى الجنايات ، وافرج عنه ليعيش بنصف مرتب فى انتظار يوم الفصل ، وكلما ذهب الى محام .. لا يكاد يستمع الى أرقام الاختلاس .. حتى يطلب منه أتعابا يسقط « علوى » من طوله لها ، وصدر الحكم ضده غيابيا بالسجن عشر سنوات .. واختفى .. وفجأة وجد نفسه جالسا على مقهى شديد التواضع فى « بولاق الدكرور » .. أشعل سيجارة وراح يشرب الشاى على مهل .. احس انه تحت خيمة من همومه .. لكن أحاديث الذين كان يزخر بهم المقهى .. كانت تصل الى سمعه .. كشذرات من ضياء .. تقتحم ظلمة داجية .. الشهادات .. التصاريح .. العقود .. السفر .. البلاد العربية .. ونظر الى من حوله لاول مرة .. فى محاولة

للخروج من خيمة همومه .. وطالعتـــه الوجوه المتلهفة بلهفة الطموح الى السفر .. تربض في ملامحهم مشاعر متضاربة .. الرغبة ، والخوف ، والحذر ، والاستسلام .. لكن أوضح هذه المشاعر الخوف من الهزيمة والعودة الى القرية ..

وأحس انه يتجاوب معهم فى هذا الشعور .. هــو أيضا هارب من الاسرة .. حاقد على المنبع .. يفرقه عنهم انهم حددوا لعودتهم زمنا فى خيالهم .. أما هو فان عودته شبه مستحيلة .. الا تحت ستار من السرية .

فنظروا اليه .. وتواصل الحـــديث بينهم وبينه .. دلوه بحاجتهم الى ما يفعله .. انهم فى حاجة الى أوراق عصية عليهم ، ومستندات ليس من حقهم الحصــــول عليها .. وتكفل لهم بها ... واستأجر غرفه في فندق باسم جديد .. وراح يجرب حظه فى التزوير البحت .. ومن جديد أحس انه يواصل رغبته التى تلازمه .. فى الكيد للمجتمع الذى يعتقد يقينا انه لم يرحمه ..

وبعد ثلاث سنوات .. وقع فى الفخ ..

وســـألته فى مـكتب اللواء عبد المنعم الصيرفى رئيس مكتب مكافحة التزييف بالوزارة :

ــ هل ما زلت يا « علوى » تعتقد انك على درجة عالية من الذكاء .. ؟

أجاب من تحت خيمة همومه :

ــ ذكائى لا أشك فيه .. ولـكن الذى لا أملكه هو الحظ ..

فهرس

رقم الايداع بدار الكتب [illegible] ٨٣

الترقيم الدولى ٢ ـ ٠٥٩ ـ ١١٨ ـ ٠٩٧٧ ISBN

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد / عبد العال بسيوني زغلول ـ الكويت ـ الصفاة ـ ص. ب رقم ٢١٨٣٣ تليفون ٧٤١١٦٤

جدة ـ ص ـ ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا : THE ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7. Bishopsthrose Road
London S.E. 26 ENGLAND

البرازيل : M. Miguel Maccul Cury. B. 25 de Maroc. 990
Caixa Postal 7406, Sao Paulo, BRASIL.

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٣٠٠مليم :

سوريا ٦٠٠ ق.س ، لبنان ٦٠٠ ق.ل ، الاردن ٤٥٠ فلسا ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ٨٥٠ فلسا ، السعودية٦ ريالات ، السودان ٦٠٠ مليم ، تونس ٦٥٠ مليما ، المغرب ٨٠٠ فرنك ، الجزائر ٦٥٠ سنتا ، الخليج ٤٥٠ فلسا ، غزة والضفة ١٥٠ ليرة ، الصومال ٥٠ بنى ، داكار ٤٠٠ فرنك ، لاجوس ٦٠ بنى ، اسمرة ٥٠٠ سنت ، اليمن الشمالية ٥٠ بنى ، أديس أبابا ٥٠٠ سنت ، باريس ٨ فرنكات ، لندن٨٠ بنس ، ايطاليا ١٤٠٠ ليرة ، سويسرا ٥ر٣فرنك ، اثينا ٨٠ دراخمة، فرانكفورت ٥ر٣ مارك ، فينا ٣٥ شلنا كوبنهاجن ١٠ كرونات ، استوكهولم١٤كرونه ، كندا ٢٥٠ سنتا ، البرازيل ٣٥٠ كروزيرو ، نيويورك ٢٥٠ سنتا ،لوس انجلوس ٣٠٠ سنت ، استراليا ٣٠٠ سنت ، هولندا ٤ فلورينات .



هذا الكتاب

« الجريمة والشباب » مجموعة من جرائم الشباب التعس •• كانت بعض حصاد عمل الكاتب فى حقل الجريمة ، والكتابة عنها فى مجلة المصور واذا كان عبد المنعم الجداوى قد عرف فى العالم العربى • بعرض وتحليل الجريمة بشكل لم يسبق اليه •• فان حسه المرهف ، وقلبه المفتوح جعله يرصد التيارات الاليمة التى كان ضحيتها بعض فلذات اكبادنا ••!

وقد يفزع هذا التعبير بعض القراء ، ولكنها الحقيقة ••• فالذين يشغلون اليوم مواقع الاباء •• قد شاركوا بشكل او باخر فى دفع الجيل الجديد الى السلوكيات التى انتهت به الى ما لا نريده له •• !!

والكاتب « عبد المنعم الجداوى » وقد اصبح بحكم « عمره ابا ، وجدا » •• هاله انحدار امل المستقبل فى هوة الجريمة •• فراح يغوص ، ويبحث ، يقرا ويناقش •• لكى يصل الى بعض الاسرار المهمة التى دفعت بالشباب الى الجريمة •• فكانت المقدمة التى صدر بها هذه المجموعة •• ثم اختار الجرائم التى كل ابطالها لم يتجاوزوا الثلاثين ، ومعظمهم حصلوا على نصيب كبير من التعليم •• فهؤلاء هم الذين انعكست عليهم التغيرات العنيفة التى اجتاحت مجتمعنا •• ! والكاتب اذ يضع كتابه هذا بين يدى القارىء • يؤكد له انه بداية لا نهاية •• بداية لكى تتجه مراكز الدراسات الخاصة بالشباب ، والجريمة فى الاتجاه السليم الذى يضع المصابيح الكاشفة امام فلذات اكبادنا •• فلا يضيعون فى الظلام ، ولا يخرجون من الجامعات الى السجون !

٣٠ قرشا

